



الجمهورية الجزائرية الشعبية

وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولة الزيرية والحمادية خلال القرن 4-6هـ/10-12م

مذكرة مقدمة ظمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

إعداد الطلبة:

- ✓ نايل خيرة.
- ✓ مبسوط محمد.

إشراف الدكتور:

كيحل عمر

أعضاء اللجنة المناقشة

- ❖ د. رئيسا.
- ❖ د. مشرفا ومقررا.
- ❖ د. عضوا مناقشا.

الموسم الجامعي: 2021-2022





الـــشكـــر

أول ما نفتتح به هو شكر الله عز وجل الذي أنعم علينا
بنعمة العقل وألهمنا لما فيه الخير والصلاح طيلة مشوارنا الدراسي
وعرفانا بالجميل أسجل بمداد العرفان، جميل الشكر وعظيم الامتنان
لوالدين الأكارم على حسن الرعاية، وجميل الإحسان.

كما نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ المشرف كيحل عمر على مجهوداته المبذولة
كما نتقدم بالشكر لجميع الأساتذة الذين قاموا بتدريسنا طيلة مرحلة الدراسة،
ونخص أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا قراءة هذا العمل المتواضع،
وتصويبه، وتقديم ملاحظات حوله.

كما لا يفوتنا تقديم صادق الشكر والتقدير لكل من قدم لنا يد المساعدة
من قريب أو من بعيد.

فجزى الله الجميع خير الجزاء.



مقدمة

مقدمة:

شهد المغرب الأوسط تغيرات، وتطورات كبيرة على مر الزمن في العديد من المجالات، وخاصة المجال الثقافي والعلمي، ومن بين الفترات الزمنية التي شهدها المغرب الأوسط فترة حكم الدولة الزيرية والدولة الحمادية، فقد ازدهرت فيهما الحياة الثقافية إزدهارا عجيبا، وذلك بسبب العديد من العوامل التي تباينت في مدى إسهامها في ذلك، وأصبح المغرب الأوسط في هذه الفترة منارة للإشعاع الثقافي، واجتمع فيه من فضلاء العلماء والصلحاء والأطباء.

ولهذا اختار الباحث عنوان البحث: **الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولة الزيرية والحمادية من القرن 4-6هـ/10-12م**

وهاك ما تشتمل عليه المقدمة:

أ- موضوع البحث:

يدور موضوع البحث حول الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولة الزيرية والحمادية.

ب- أهمية وفوائد البحث:

يستمد البحث أهميته، وقيمته، من كونه:

- ✓ يتناول قضية حساسة وهي الحياة الفكرية في المغرب الأوسط.
- ✓ بيان مكانة المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين الزيرية والحمادية –من ناحية الحياة الفكرية – بين باقي الدول والأعصار.
- ✓ وضع صورة عامة وشاملة حول الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين الزيرية والحمادية.
- ✓ التعريف بالدولتين الزيريرية والحمادية.
- ✓ تحديد المكانة الفكرية للمغرب الأوسط خلال عصري الدولتين.
- ✓ معرفة أهم التيارات الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين.
- ✓ معرفة أهم العوامل التي أدت إلى نمو الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين.
- ✓ معرفة أهم المؤسسات التعليمة في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين.

ت- الدراسات السابقة:

- ✓ دور المرأة ومكانتها في الدولة الزيرية والحمادية، فوزية حباش وخديجة عزايج، إشراف عبد العزيز حاج كولة، جامعة المدية، 2015-2016م.
- ✓ جوانب من حضارة قلعة بني حماد، زهير صغيور، مذكرة ماستر، إشراف د. عبد الغني حروز، جامعة المسيلة، 2019-2020
- ✓ تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق 5-6ه/11-12م، جلوح صلاح، رسالة ماجستير، إشراف محمد بو ركبة، جامعة وهران، 2014-2015م
- ✓ العلوم الدينية على عهد الدولة الحمادية، يمينة عاشور، مذكرة ماستر، إشراف بوشيبة ذهبية، جامعة سعيدة، 2014-2015م
- ✓ الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري، د. لطيفة بنت محمد البسام، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 2001م

ث- أسباب اختيار الموضوع:

- ✓ لأن الباحث لم يجد بحثا درس الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولة الزيرية والحمادية دراسة مستوفية، فنما في نفس الباحث رغبة ونهمة في اختيار هذا الموضوع.
- ✓ لأن ذلك يساعد على تقديم نظرة موضوعية، ومتوازنة لحقيقة إنجازات الأمة الإسلامية، في شتى دروب الحياة.

ج- الإشكالية الرئيسة:

- ✓ ماهي تفاصيل الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري دولة الزيرية والحمادية؟
- ✓ ما هي عوامل نمو الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين؟
- ✓ ما هي التيارات الفكرية في بلاد المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين؟

ح- خطة البحث:

وللإجابة عن هذه الإشكالات المطروحة اعتمدت الخطة التالية:

الفصل التمهيدي: دراسة جغرافية ومجتمع المغرب الأوسط ويشمل:

أولا: تسمية المغرب الأوسط.

ثانيا: موقع المغرب الأوسط.

ثالثا: التضاريس.

رابعا: المناخ.

خامسا: المجتمع في المغرب الأوسط.

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن الدولة الزيرية والحمادية ويشمل:

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن الدولة الزيرية ويتناول:

المطلب الأول: النسبة والنشأة.

المطلب الثاني: الامتداد الجغرافي.

المطلب الثالث: أهم حكامها.

المطلب الرابع: أهم عواصم الدولة الزيرية.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن الدولة الحمادية ويتناول:

المطلب الأول: النشأة.

المطلب الثاني: الامتداد الجغرافي.

المطلب الثالث: أهم حكامها.

المطلب الرابع: أهم عواصمها.

الفصل الثاني: تطور الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين ويشتمل على:

المبحث الأول: عوامل نمو الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

المطلب الأول: الدولة الزيرية .

المطلب الثاني: الدولة الحمادية.

المبحث الثاني: أهم الحواضر والمراكز والمؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

المطلب الأول: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط.

المطلب الثاني: المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين.

المبحث الثالث: مظاهر الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

المطلب الأول: الدولة الزيرية.

المطلب الثاني: الدولة الحمادية.

الخاتمة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع.

الفهرس.

خ- منهج البحث:

❖ أولا: نوع البحث:

وقد سلكنا في البحث طريقة البحث المكتبي الذي يتكون من الخطوات التالية:

- ✓ جمع العديد من الكتب المتعلقة بالموضوع.
- ✓ تقديم الأسس العامة حول البحث.
- ✓ تحليل المعلومات والوقائع التاريخية التي ساهمت في نمو الحياة الفكرية.

❖ ثانيا: ما يتعلق بالعزو والتخريج:

- ✓ عزوت الأقوال إلى أصحابها، مع ذكر المصدر الأساس، وإلا فالمرجع الناقل.

❖ ثالثا: ما يتعلق بصلب البحث:

- ✓ فسرت بعض الكلمات الغامضة من مصادرها.
- ✓ ذكرت أهم التعريفات بالمصطلحات الأساسية في البحث.
- ✓ استخلاص المادة العلمية من بعض المصادر الهامة ككتب النوازل والرحلات، والتراجم، بالإضافة إلى الدراسات الأثرية.

❖ رابعا: ما يتعلق بالفهارس:

- ✓ صنعت فهرسا للمصادر مبينا اسم الكتاب الأصلي، واسم المؤلف، ثم بقيت معلومات الطبعة كاملة إن وجدت.
- ✓ صنعت فهرسا للمحتويات، ذكرت فيه العناوين الرئيسة، وأغلب العناوين الفرعية.

❖ خامسا: ما يتعلق بالترجمة:

لم أترجم لأي من الأعلام، لأن الأعلام المغمورين في البحث كثر، فآثرت الاختصار من هذا الأمر.

د- أهم المصادر والمراجع:

- **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، تأليف د. عبد الحليم عويس.**

وهو كتاب ذا أهمية بالغة لا يستغني عنه الدارس لتاريخ الدولة الحمادية، فقد قام المؤلف باستقصاء واستقراء تاريخ الدولة الحمادية بشكل دقيق، وقد اشتمل كتابه على أهم الأمور بتفصيل فريد يسهل على الدارس الوصول إلى المعلومات تبويب فرعي لأهم الأحداث.

- **الحياة الثقافية في المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية، تأليف أيمن السيد عبد اللطيف.**

وهو أيضا كتاب مهم لمن يريد البحث حول الدولة الزيرية فقد اشتمل على معلومات مهمة إلا إن الباحث يجد صعوبة أثناء البحث في الكتاب، فالمؤلف لم يرتب الكتاب ترتيا دقيقا حول الأحداث، فقد تكلم بشكل عام.

- **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، تأليف رشيد بورويبة.**

ويعتبر من بين أهم الكتاب التي تناولت الدولة الحمادية وحضارتها وتاريخها بشكل مفصل تقريبا.

ذ- صعوبات البحث:

- صعوبة الوصول إلى بعض المراجع المتخصصة بالموضوع.
- كثرة الأحداث واختلاف الآراء حولها.
- نقص المراجع التي تناولت الموضوع في المكتبة الجامعية.



الفصل التمهيدي: دراسة جغرافية ومجتمع المغرب الأوسط:

1- تسمية المغرب الأوسط.
2- موقع المغرب الأوسط.
3- التضاريس.
4- المناخ.
5- المجتمع في المغرب الأوسط.

الفصل التمهيدي: دراسة جغرافية والمجتمع المغرب الأوسط:

1- تسمية المغرب الأوسط:

يراد بلفظ المغرب كل ما يقابل المشرق من بلاد، وهو الاتجاه الأصلي الذي يحدد مغرب الشمس، عكس البلاد الواقعة في اتجاه شروق الشمس، وتسمى تبعا لذلك بالمشرق، وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون العرب في تحديد مدلوله، فجعله البعض يشمل كل الأقاليم الواقعة غربي مصر، والتي تتضمن حاليا البلاد الليبية بولايتها الثلاث: برقة، وطرابلس، وفزان، وتونس والجزائر بصحرائها المترامية الأطراف إلى تخوم السودان. (1)

كما أضاف بعض المؤرخين الأراضي الإسلامية بالأندلس، وجزر الحوض المغربي للبحر الأبيض المتوسط.

وابتداء من القرن الخامس الهجري أطلق الجغرافيون العرب على الأقاليم الغربية البعيدة عن مركز الخلافة الإسلامية في المشرق اسم المغرب وهي الأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي غربا. (2)

وقد قام المؤرخون والجغرافيون المسلمون بتقسيم المغرب الإسلامي إلى ثلاثة مناطق جغرافية نظرا لسعة هذا القطر وامتداده الجغرافي والذي يشكل وحدة جغرافية وعرقية مختلفة فقسموه :

- مغرب أدنى أو إفريقية: وعاصمته في الأولى كانت مدينة القيروان، ثم أصبحت مدينة تونس، منذ عهد الحفصيين إلى يومنا هذا.
- ومغرب أقصى بالإضافة إلى الأندلس: ويعتبر امتدادا للمغرب الأوسط، ونهر ملوية هو الحد الفاصل بينهما شرقا، ويمتد إلى المحيط الأطلسي غربا.
- ومغرب أوسط:

وهذا التقسيم لم يكن يأبه بالصراعات والتوسعات بين الدول الناشئة في المغرب الإسلامي والتي كانت تتوسع على حساب بعضها البعض. (3)

---

(1) العبادي أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 9.

(2) زغلول سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية، ج 1، ص 61.

(3) الأخضر العبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة دكتورا، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، كلية العلوم الإنسانية، 2004-2005م، ص ص 18-20، وعامر حميد السامرائي، الموجز من تاريخ المغرب العربي في العصور الإسلامية الأولى، 2017م، ص ص 5-11.

2- موقع المغرب الأوسط:

سمي المغرب الأوسط بالأوسط لكونه يتوسط المغربين الأدنى والأقصى،[1] يعتبر منطقة جغرافية اختلف الرحالة والمؤرخون في ضبط حدودها، فهي تمثل إشكالية يجد الباحث نفسه أمامها، وذلك لعدة أسباب:

- ✓ الحركة القبلية الغير مستقرة، خصوصا بعد دخول العرب أرض المغرب ابتداء من سنة 443هـ.
- ✓ حالة القوة والضعف للسلطة المركزية التي تعاقبت على حكم هذه البلاد وتأثرها بالأحداث السياسية والعسكرية والمذهبية.
- ✓ وأيضا صعوبة ضبط حدود البلاد راجعة إلى كون مفاهيم السيادة والحدود بالنسبة لتلك الفترة تختلف عن المفاهيم في الوقت الحاضر. [2]

ويعتبر البكري أول جغرافي استعمل مصطلح" المغرب الأوسط" وذلك خلال القرن 5هـ/11م، جاعلا من تلمسان قاعدة له. [3]

لكن هذا المصطلح لم يعرف حدودا ثابتة متفقا عليها بين الجغرافيين، بسبب اختلاف معايير تقسيم الأقاليم، حيث ظل إقليم بجاية[4] وتلمسان، بدرجة أقل مختلف في تبعيتها لبلاد المغرب الأوسط.

فإذا كان البكري اعتبر المغرب الأوسط هو ديار زناتة، وقاعدتها تلمسان التي عرفت أول إمارة زناتية،[5] فإن أبا عبد الله محمد بن محمد الإدريسي قد جعل من بجاية قاعدة للمغرب الأوسط مراعيا في ذلك الواقع السياسي، باعتبار بجاية عاصمة الدولة الحمادية، فيقول:" مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد"،[6] معتبرا المدن من بجاية إلى تنس تابعة لهذا الإقليم، بينما استثنى تلمسان، والتي كانت خاضعة للدولة اللمتونية.

---

(1) عامر حميد السامرائي، المرجع السابق،، ص 7.

(2) عيمور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5-6هـ/11-12م (دراسة اقتصادية اجتماعية)، رسالة ماجستير، مرقونة، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2008-2009م، ص 7.

(3) عبد الواحد دنون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2004، ص 11، البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 76.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ج6، ص ص 17-20.

(5) البكري، المرجع السابق، ص 76.

(6) محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ص 260.

أما عبد الواحد المراكشي، فيرى أن بونة هي أول حد لبلاد أفريقية، وأنه من بجاية حتى سويسرات هي الحد بين لمتونة وصاحب بجاية الحمادي. [1]

بينما اعتبر ابن سعيد المغربي إمتداد المغرب الأوسط من بجاية إلى قسنطينة؛ فأخرج مدينة بونة في الشرق وتلمسان في الغرب من إقليم المغرب الأوسط. [2]

وتبعه في ذلك ابن فضل الله العميري؛ فأضاف مملكة تلمسان إلى المغرب الأقصى، مترجما بذلك ما عايشه من سيطرة المرينين على بلاد المغرب الأوسط.

أما صاحب الروض المعطار، والذي يعد ناقلا عمن سبقه، فذكر أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط، وأن الحد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب الأقصى هي تازة في الطول وفي العرض البلاد الساحلية مثل وهران ومليلة، معتبرا تلمسان قاعدة أخرى للمغرب الأوسط.

وبالنسبة لحسن الوزان فإنه جعل مدينة الجزائر هي الحد الشرقي لمملكة تلمسان، بينما ضم مملكة بجاية لحاضرة تونس؛ وجعل مملكة تلمسان تشمل إقليم بني راشد الذي يبدأ من وهران إلى دلس ويضم شرشال ومليانة وتنس ومازونة ودلس وتنس والجزائر.

وقال بعضهم : أن المغرب الأوسط هو حقيقة عن القسم الممتد من تلمسان إلى حدود مملكة بجاية – مدينة القل –، وجعل مدينة القل هي بداية إقليم قسنطينة التابع جغرافيا لمملكة بجاية.

وتعرض بعضهم إلى اختلاف الجغرافيين حول إقليم بجاية، ثم بين أن إدراجه ضمن أقاليم مملكة تلمسان هو قول خيرة الكتاب.

وهكذا يظهر أن أغلب الجغرافيين قالوا بتبعية تلمسان للمغرب الأوسط، إذا اعتبرت قاعدة له، بينما كثر الاختلاف حول بجاية.

والراجح الذي عليه خيرة الكتاب هو أن بجاية تابعة لإقليم المغرب الأوسط.

ويرى ابن خلدون: أن المغرب الأوسط هو تلك المساحة التي تمتد من قاعدة تلمسان غربا إلى بونة شرقا، وتنحدر جنوبا من أشير والمسيلة والزاب، وقاعدته بسكرة، وجبل أوراس وتبسة. [3]

---

(1) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد عريان، الجمهورية العربية المتحدة، ص ص 272-273.

(2) كرطالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)، مذكرة ماجستير، إشراف محمد بو ركبة، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية، 2013-2014م، ص ص 2-4، وعادل بديرة، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، إشراف مفتاح خلفات، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية، 2017-2018م، ص ص 29-32.

(3) كرطالي أمين، المرجع السابق، ص ص 4-5، وعادل بديرة، المرجع السابق، ص ص 32-33.

3- التضاريس:

إن الطبيعة الجغرافية لبلاد المغرب هي عبارة عن كتلة واحد متشابهة إلى حد كبير في التضاريس والبيئة والمناخ؛ فهناك سلاسل جبلية ضخمة تخترق البلاد من الغرب إلى الشرق وتصل ما بين أجزائه،[1] وتسيطر السلاسل الجبلية والهضاب سيطرة شبه تامة على القسم الشمالي، وقد أثرت السلاسل الجبلية في رسم الخطوط الأساسية وتوزيع المظاهر الطبيعية والبشرية، حيث تمتد جبال الأطلس التي تنتمي إلى الجبال الإلتوائية الحديثة، في القسم الشمالي من بلاد المغرب، فتقوم سلسلة طويلة تحاذي الساحل وتوازيه، تسمى التل الشمالي في تونس، وجبال الريف في المغرب الأقصى، والأطلس التلي في الجزائر، والمتكون بدوره من سلسلة من المرتفعات التي يبلغ معدلها حوالي 1200م، وهي من المواقع الجغرافية الممتازة التي ساعدت في تأسيس العديد من المدن خلال الفترة الوسيطة، منها مدينة أشير المؤسسة " بين جبال شامخة محيطة بها"؛ إذن تضاريس هذا الجزء من بلاد المغرب تتكون من سلسلتين جبليتين تمتدان من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وهما السلسلة التلية وسلسلة الأطلس الصحراوي في الجنوب وتفصل بينهما الهضاب والسهول العليا.

وما من شك أن هذه الجبال ساهمت كثيرا في حماية الأفراد، خاصة وقت الحروب والفتن، حيث شكلت ملجأ للقبائل البربرية الثائرة، منها قبيلة زناتة التي كانت غالبا تحتمي بالجبال والبراري، وأيضا جبال هذه الرقعة كانت حمى لكثير من أهل القيروان لما غز الهلاليون إفريقية، حيث انتقل عدد منهم إلى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من الهلاليين، وشكلت جبال سالات ملجأ حصينا لأبي يزيد مخلد، وحتى الخليفة المنصور الفاطمي لما ذهب في إثره دخل مدينة المسيلة ورحل في جبال وعرة، وأودية عميقة خشنة الأرض، والظاهر أن الطريق لم يكن سهلا، لأن الأدلاء عرفوه بأن هذه الأرض لم يسلكها جيش قط.

ومدينة " أفكان " كانت في سفح جبل أوشيلاش وهو بجوفيها، ولهذا الجبل شعراء غامضة، وبقبليها نهر سيرة، ومنبعه من عيون بشرقيها عليها الأرحاء والبساتين من كلتا ضفتيه، وبغربي " أفكان " أسفل بساتينها مجمع الأودية: وادي سيرة، ووادي سي، ووادي هنت. [2]

---

(1) موريس لومبار، تاريخ الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 21.

(2) نوال بلمداني، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، إشراف فاطمة بلهواري، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية، 2013-2014م، ص ص 25-30.

تخترق البلاد المغربية سلسلة جبال، وهي جبال ضيقة وعرة الدروب والمسالك وتنقسم هذه السلسلة الى ثلاثة أقسام:

الأطلس الساحلي: ويمتد غربا من جبال أنجيزه على ساحل بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) ويشمل جبال غماره وجبال الريف وجبال بسني يزناتن ترارة وبدوغ وغيرها ،وهي جبال متوسطة الارتفاع ،وأكثرها ارتفاعا جبل بني حسن الذي يبلغ ارتفاعه ما يقارب من الفي متر . وتتخذ هذه الجبال شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي، وأهمها:

3-1- أطلس التل: وهي سلسلة جبلية تمتد من المغرب الأقصى وتنتهي في تونس بجبال الخمير وتشمل جبال كندافة وكلاوة والمدحوس وبادر وتلمسان وونشريس والجرجرة . وتمتاز هذه الجبال بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية، [1]ونحو الأحواض الجنوبية المنعزلة بين أطلس التل وأطلس المتوسط ،وعلى الأخص في القسم الغربي من المغرب الأوسط، أما الجزء الشرقي فأقل ارتفاعا وأكثر تقطعا. [2]

3-2- الأطلس الصحراوي: وتبدأ هذه السلسلة من المغرب الأقصى، إذ تحمل أسم جبال أطلس الكبرى، وهي اكثر جبال أطلس ارتفاعا ولا توجد بها ممرات يسهل المرور منها، ولذلك كان لهذه الجبال أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب.

وتستمر جبال أطلس الكبرى ممتدة في المغرب الأوسط، وتشمل جبال القصور، وجبال العمور، وجبال أولاد نايل، وجبال الزاب، وجبال أوراس، وتنتهي بجبال زغوان في المغرب الأدنى، وأغلب هذه الجبال تكسوها الغابات وتتوجها الثلوج، وتنحصر بين هاتين السلسلتين الجبليتين هضاب وسهول مرتفعة يشتغل فيها السكان برعي الماشية، واغلب هذه الهضاب تقع ما بين جبال أطلس التل وأطلس الصحراوي في المغرب الأوسط. [3]

(1) الشرقاوي وآخرون، ملامح المغرب العربي، الإسكندرية، 1959م، ص 13.
(2) عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، 1962م، ص 15.
(3) جوليان أندريه، تاريخ إفريقية الشمالية حتى الفتح العربي، باريس، 1951م، ص ص 18-19، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 15.

4- المناخ:

يعتبر المناخ من بين أهم العوامل تأثيرا على صيرورة الحضارات، ولكن توجد أسباب هامة تتحكم بدرجات متفاوتة في الملاحة المناخية، من بينها التضاريس، حيث يمكن تقسيم الأراضي التي شكلت بلاد المغرب الأوسط إلى قسمين:

4- أ- قسم يتمثل في مناطق السهول الخضراء: ك:

- سهول السرسو التي تقع في الجزء الجنوبي من تاهرت.
- وسهول وادي الشلف الغني بتربته ومياهه.
- السهول الساحلية التي كانت تزرع فيها الحبوب.

4- **ب-** السهوب: والتي تتميز بقلة أمطارها وتذبذبها وعدم انتظامها. [1]

ولكن تغييب المصادر الوسيطة للخصائص المناخية بالمنطقة، شكل عائقا في تحديد أهم الأقاليم المناخية في المغرب الأوسط، غير أن الدراسات الحديثة قسمت هذا المجال الجغرافي إلى ثلاثة أقاليم مناخية، يختلف كل واحد عن الآخر:

- مناخ البحر الأبيض المتوسط: يشمل المناطق الشمالية المطلة على البحر المتوسط والسهول الساحلية في المغرب الأوسط، وهو من المناخات المعتدلة الدافئة المتميزة بشتاء لطيف على الساحل وأمطار في الخريف والشتاء والربيع، وبصيف حار وجاف.
- مناخ الإستبس: يسود المناطق الداخلية ويمتد إلى الجهات الجنوبية، إنه النقطة الفاصلة بين مناخ البحر المتوسط في الشمال ومناخ الصحراء في الجنوب، وتتراوح كمية الأمطار به بين 200 ملم و400 ملم سنويا.
- المناخ الصحراوي: يتميز بالارتفاع الشديد في درجة الحرارة مع انخفاض طفيف في أشهر الشتاء، والجفاف شبه التام، فلا يسقط شيء من المطر في هذا النطاق إلا في القليل النادر وهو غير منتظم، ولما كان الغطاء النباتي خفيفا، أو منعدما في بعض المناطق كان الانسياب السطحي بعد الأمطار كبيرا للغاية، ومن ثم كان الأثر الفعلي للمطر المتساقط بالنسبة للنبات الطبيعي أو المحاصيل المزروعة في الواحات ضئيلا.

---

(1) منصور عبد الحفيظ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية، التاريخ الإسلامي، جامعة قسنطينة، 1983-1984م، ص ص 109-110.

وعلى كل حال فقد أثر التنوع التضاريسي على مناخ بلاد المغرب الأوسط، وساهم في تنوعه، لكن تحديده خلال العصر الوسيط ليس سهلا، حيث أن المصادر تكتفي بذكر بعض الإشارات عن الجو السائد في مدينة ما ضمن سياق حديثها أو وصفها لبعض مميزاتها.
فالبكري مثلا يشير إلى مدينة " تاهرت " وما جاورها فيقول: " كانت شديدة البرد، كثيرة الغيوم والثلج" وهو ما يؤكده ابن عذارى، ويضيف المؤلف نفسه حول عدد أيام فصل الشتاء بها قائلا:" قيل لبعض الظرفاء من أهلها؛ كم الشتاء عندكم من شهر في السنة؟ قال : ثلاثة عشر شهرا"، ويتضح من خلال هذا النص أن أشهر الشتاء كانت صعبة للغاية في تاهرت نظرا لتهاطل الثلوج والأمطار على المنطقة واستمرارها أكثر من ثلاثة أشهر، فربما كان الخريف والشتاء والربيع كله أمطار.
ومن الأمثلة الأخرى، مدينة تلمسان التي تميزت بمناخ لا هو رطب لبعدها عن البحر قليلا، ولا هو حار صيفا، كما أنها لا تتأثر برياح السموم الحارة التي تأتي من الصحراء لأن جبال الأطلس تشكل الجدار الواقي من هذه الرياح، فلا يكون صيفها شديد الحرارة، غير أن شتاءها كثير البرد والثلج، وهو ما يؤكده ابن مرزوق، بقوله: " هي أشد بلاد عدوة المغرب الأوسط بردا وتجلدا"، ويثبته ابن مريم من خلال البستان، والظاهر أن قساوة فصل الشتاء مست العديد من مناطق الغرب الأوسط، حيث يشير ابن عماد الدين إدريس في معرض حديثه عن حملة القائم الفاطمي على المنطقة سنة 315هـ/927م قائلا:" وتوالت الغيوث والأنواء والأمطار وكثر الوحل، فسمى الناس ذلك المناخ مناخ الوحل"، ويوضح صاحب البيان المغرب الصورة قائلا:" ... وتوجه إلى مدغرة، ثم إلى سوق إبراهيم فأقام في تلك الجهة أكثر من شهر، لكلب الشتاء وكثرت الوحل" ويضيف أن القائم كتب إلى المهدي يخبره:" أنه أقام في مناخ واحد شهرا كاملا، عليه المطر كل يوم بالغدو والآصال".
وما من شك في أن المناخ ساهم منذ القدم بدور بارز في التأثير على النبات والإنسان والحيوان معا، وعلى ما يبدو أنه لم يتغيرا كثيرا عما نحن عليه الآن. [1]

(1) نوال بلمداني، المرجع السابق، ص ص 32-34.

5- المجتمع في المغرب الأوسط:

شكل العنصر البربري الأغلبية الساحقة من سكان المغرب الأوسط باعتبارهم السكان الأصليون؛ هذا لأنه اشتمل على عناصر بشرية أخرى كالعرب والروم، هذا وإن كان المؤرخون يطلقون العديد من التسميات على سكان المغرب الأوسط، وذلك باعتبار المجال الجغرافي، أو بنوع النشاط الذي يمارسونه، أو بالمنظر الخارجي واللباس الذي كانت تلبسه جماعة دون أخرى،[1] وما يحسن الإشارة إليه أن كل من القبائل البربرية والعربية لم تعرف الاستقرار بمناطق محددة طيلة العصر الوسيط، وإنما عرفت حركية مستمرة، وبالتالي توزيع جغرافي جديد لكل قبيلة من فترة لأخرى، فضلا عن تجزئة القبيلة الواحدة في حد ذاتها، وذلك لأسباب ومعطيات سياسية واقتصادية واجتماعية وحتى ثقافية أو انضواء والتحام عدة قبائل صغرى مع قبيلة كبرى نتيجة الهجرة والترحال أو الحروب أو بسبب التقاء المصالح المشتركة،[2]

هذا وقد سكن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي ثلاث طوائف من السكان وهم:

- السكان وهم البربر.
- الروم وهم البيزنطيون.
- الأفارقة وهم طارئون على البلاد المغربية. [3]

وعلى كل يمكن الكلام حول مجتمع المغرب الأوسط خلال القرون الهجرية الأولى بعرض التقسيم التالي:

5-أ- تقسيم بنيات وأشكال التوطين إلى قسمين:

أ-1- التصنيف التقليدي للبربر:

وهذا التصنيف يعتمد بشكل كبير على نمط الحياة، أو بنوع النشاط الذي يمارسه سكان تلك المنطقة، أو بالمنظر الخارجي للباس، وكما يستند تقسيمها إلى اختلاف أساليب الحياة بينهما فالقبائل البرنسية في عدد القبائل التي تركن للاستقرار، أما البترية فهي قبائل بدوية تجري وراء

(1) بن عريب مصطفى، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ/1269م، إشراف الطاهر بو نابي، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية، 2016-2017م، ص 4.

(2) فوزية كرراز، التوزيع الجغرافي للبربر والعرب بالمغرب الأوسط (ق 5-6هـ/11-12م)، مجلة العصور الجديدة، العدد 21-22، 2016م، ص 110.

(3) عامر حميد السامرائي، المرجع السابق، ص 19.

النجعة، لكننا نجد ضمن القبائل البرنسية قبائل غارقة في البداوة وذات النجعة الطويلة، وأخرى ضمن البترية لكنها اختارت حياة الاستقرار،[1] ويرجع البعض هذا التقسيم للمظهر الخارجي، فالبرانس يشمل لباسهم على غطاء للرأس ذي شكل مخروطي، أما البتر فلباسهم لا يشمل على هذه الإضافة. [2]

ومن هنا يبدو هذا التصنيف القائم على خصائص الاستقرار والبداوة النجع واللباس غير واضح ولا يمكن أن يضفي بنا إلى تصور مقنع لطبيعة مجتمع المغرب الإسلامي ومكوناته السكانية. [3]

أ-2- التصنيف الخلدوني:

يستند التصنيف الخلدوني في ضبط بنيات وأشكال التوطين القبلي على تتبع هذا التصنيف ضمن مسلك تاريخ القبيلة وفق منهج يتبعه المؤرخ المضطلع في مسالكه ويتقراه في شعابه ويثيره في مكامنه، أي منهجا قائما على الاستقراء واشتثارة دلالات الكلمات التي تفتح الموضوع على علوم اللسانيات. [4]

1. برير المدن والأمصار ويسمون بالبرانس:

يعد الحديث عن دور القبائل البربرية في بناء المدن والاستقرار بها من أهم الإشكاليات، التي لا تزال بحاجة إلى بحث وتنقيب، خاصة وأن أغلب النصوص والشواهد تفتقد للدقة والوضوح، وتتسم بالكثير من الغموض سواء في تحديد تاريخ تأسيس المدن أو في تبيان ساكنيها.

وعموما يرتبط وجود المدن والحصون بالمغرب الأوسط بالحضور الأجنبي الفينيقي والروماني والبيزنطي. [5]

فتتفق كثير من المصادر في سياق حديثها عن دخول البربر الأول إلى بلاد المغرب، أن الجبال والأودية والرمال وأطراف البراري والقفار والبوادي كانت محل توزع القبائل البربرية

---

(1) موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 60، الدراجي بوزيان، القبائل الأمازيغية(أدوارها ومواطنها وأعيانها)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج1، ص 81.

(2) موسى لقبال، المرجع السابق، ص 60.

(3) بن عريب مصطفى، المرجع السابق، ص 6.

(4) عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط6، المركز الثقافي، الدار البيضاء، 2000، ج1، ص 34.

(5) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2010، ج 1، ص ص 83-103.

وانتشارها في حين تركت المدن للروم والإفرنج،[1] ومع ذلك نجد أيضا إشارات هامة حول تأسيس البربر لبعض مدن المغرب الأوسط على غرار المدن التي تعود إلى الممالیك النومیدیة مثل سیرتا وسیقا وغیرها. [2]

إلا أن هذه المدن القديمة لم تكن على ما يبدو تحمل السمات الحقيقية للمدينة، وبذلك يعد من العسير فعلا أن نحدد دور البربر في بناء المدن، والاستقرار بها خلال العصر القديم، بل نجد أبو عبد الله بن أبي بكر الزهري: يصف المغرب بكبر المساحة، وقلة المدن والأمصار،[3] وهو ما ذهب إليه ابن خلدون، الذي وصف عمران إفريقية والمغرب بقلة المدن والأمصار وأن عمرانها عمران بدوي. [4]

وعلى كل سنذكر بعض المدن التي استقر بها البربر:

- مدينة أيزرج: التي كانت تلي تاهرت فقد كانت لسكان من مطماطة. [5]
- مدينة أوزكا: سكانها بنو مرة من البربر.
- ومدينة هاز: لبني يرنيان.
- مدينة العلويين: سكانها بربر. [6]

ومما يجب الإشارة إليه أننا لم نجد وصفا لهذه المدن التي ذكرها اليعقوبي، وهو ما يدفعنا إلى القول بأنها كانت مدن صغيرة أو مجرد قرى.

وبعدما ذكر اليعقوبي مدينة هاز، تحدث على بعض المدن التي سكانها صنهاجة وزواوة، يقول:" أنهم أصحاب عمارة وزرع"، وبالانتقال إلى صنهاجة يصبح الحديث عن بربر المدن بالمغرب الأوسط أكثر وضوحا. [7]

فمن أهم المدن التي كانت لكتامة، مدينة قسنطينة، ومدينة سطيف، ومدينة ميلة، ومدينة تاناجلت، ومن أهم مدن صنهاجة، مدينة جزائر بني مزغنة، ومدينة المدية، ومدينة مليانة. [8]

---

(1) أبو القاسم عبد الله ابن خردانية، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1889م، ص 91.
(2) محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، 2005م، ص 152
(3) الجغرافية وما ذكرته العلماء فيها من العمارة، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الإسلامية للطباعة، ص 116.
(4) ابن خلدون، المقدمة، دراسة أحمد الزغبي، دار الهدى، عين مليلة، 2009، ص 393.
(5) أبو القاسم عبد الله ابن خردانية، المرجع السابق، ص 88.
(6) اليعقوبي، البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ص 196-198.
(7) بن عريب مصطفى، المرجع السابق، ص 13.
(8) نفسه، ص ص 15-16.

2. بربر الضواحي:

يعود استقرار القبائل البربرية بالضواحي إلى أزمة قديمة، حيث أشار شارل أندري جوليان إلى دور البربر المجتمعين بالأكواخ في اعتراض التقدم الروماني. [1]

فقد كان البربر حسبه يجتمعون في قرى تتكون من تكاثف الأكواخ في أماكن لائقة قبل الاحتلال الروماني.

ومن خلال استقراء التاريخ يمكننا القول أن الضواحي هي التي تحيط بالمدن والأمصار، وتمتاز بالقوة والاستقلال عن الدول التي حكمت بلاد البربر.

فقد كانت الضاحية كثيرة وتتمتع بالاستقلالية، إذ تعود كل واحدة منها إلى ملكها، فضلا عن شجاعتهم لتفردهم عن المجتمع ولبعدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب. [2]

ويمكننا رصد الضواحي بالمغرب الأوسط خلف مدنه وأمصاره ومن ذلك:

- ضواحي مدينة جزائر بني مزغنة.
- كما كان حول مدينة تاهرت الكثير من القبائل البربرية.
- وحول مدينة المسيلة.
- وحول باغاية.
- وحول قسنطينة وبونة. [3]

3. بربر الديار والأرياف:

فبربر الديار هم الذين يتوزعون في البسائط والأراضي الواسعة التي تتخللها الجبال، ويكون لهم فيها مباني، ومن ذلك ديار سدويكيش، في مواطن كتامة بين قسنطينة وبجاية في البسائط منها[4]، وبلاد بجاية وقسنطينة ديارا لزواوة وكتامة وعجيسة وهوارة، فكانت البسائط التي تحف بها الجبال ديارا للكثير من القبائل البربرية وبطونها.

أما الريف: فهو الخصب والسعة في المأكل، ويعني أيضا كل أرض فيها زرع وخصب. [5]

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 76.
(2) نفسه، ص 153.
(3) بن عريب مصطفى، المرجع السابق، ص ص 17-21.
(4) فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ، ج1، ص 394.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ط6، دار صادر، بيروت، 2008م، ص ج9، ص 129.

ومن أهم مميزات المغرب الأوسط الطبيعية؛ كثيرة الأراضي الخصبة[1]، وهو ما أدى إلى وجود الأرياف وانتشارها في مختلف جهاته.

ومن أهم الديار والأرياف في المغرب الأوسط:

- فحص متيجة: الذي يصفه اليعقوبي بالبلد الواسع وبأنه بلد زرع وعمارة، ويسميه البكري قزرونة ولها مزارع ومسارح، ويصفه آخر بقوله الفحص العظيم كثير الخصب.
- فحص سيرات: يبلغ طوله أربع مئة ميل، تسكنه قبائل كثيرة من البربر.
- فحص عجيسة: الذي يوصف بالمديد.

وقد شكلت القرة المكان الذي اجتمع فيه بربر الأرياف، ونجد الكثير من القرى بالمغرب الأوسط منها:

- قرية وادي الشلف.
- قرية دكمة.
- قرية أوجسيت.
- وقرية مهريتين.
- قرية تامنست. [2]

4. بربر المجالات:

شكلت المجالات موطنا هاما للكثير من القبائل البربرية، وهي محل النزاع والصراع بين القبائل، أي موضع القلاقل قصد التوسع والسيطرة على أكبر قدر ممكنا منها. [3]

ومن أهم القبائل الناجعة ما ذكره ابن الصغير المالكي عن قبائل مزانة وسدراته، وغيرهم الذين كانوا ينتجعون من أوطانهم في موسم الربيع إلى جهات تاهرت وأحوزها لما حولها من الكلاء، ثم يعودون بشياههم وبعيرهم إلى ضعنهم.

ومن أهم القبائل الناجعة بالمغرب الأوسط، قبيلة لماية. [4]

---

(1) أمحمد بوشريط، الزراعة بالمغرب الأوسط الإمكانيات والخصائص، مجلة الناصرية، ع4/ جوان 2013، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، معسكر، ص 370.

(2) بن عريب مصطفى، المرجع السابق، ص 21-24.

(3) دومنيك فاليري، بجاية مناء مغاربي (1067-1510م) ترجمة علاوة عمارة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م، ج2، ص 183.

(4) بن عريب مصطفى، المرجع السابق، ص 29.

5- ب- ميلاد مجتمع المغرب الأوسط خلال القرن 2هـ/8م:

ذكر ابن خلدون في سياق حديثه عن الأبعاد السياسية والاجتماعية والحضارية للمغرب الأوسط عن دور قبائل زناتة في رسم هوية المغرب الأوسط، منذ القرن الثاني للهجرة، وذلك نظرا للأدوار التي اضطلعت بها قبائل زناتة في الصراع العسكري والمذهبي.

1. زناتة المغرب الأوسط:

يشير ابن خلدون في حديثه عن توزع القبائل الزناتية، إلى انتشارها الواسع فيذكر مواطنهم الموجودة في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، لكنه يربط وبكل وضوح بين زناتة والمغرب الأوسط، الذي كان ديار لها،[1] فجمهورهم به حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم فيقال المغرب الأوسط وطن زناتة، فالمغرب الأوسط عنده عبارة عن كنية جغرافية تدل على المواطن التي كانت تستقر فيها القبائل الزناتية، وهو الممتد من وادي ملوية غربا إلى واد الشلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تاهرت جنوبا.

إن هذا التقسيم استند أكثر إلى توزيع قبلي صرف يعود إلى مرحلة ما قبل القرن الخامس للهجرة. [2]

حيث اختزل المغرب الأوسط بحدود القبائل الزناتية، وإن صدق ابن خلدون في تحديد مناطق زناتة بالجهات الغربية من الغرب الأوسط، فإنه ومن الصعب ضبط حدود المغرب الأوسط بدقة، في ظل ديمومة حركة القبائل البربرية والعربية، وحال القوة والضعف للدول التي تعاقبت على حكمه ودورها في استثمارها هذه القبائل لخدمة أغارضها السياسية والعسكرية ودعواتها المذهبية، ومطامعها الاقتصادية، رغبة في التوسع، والسيطرة والهيمنة، ويكون بذلك التقسيم الخلدوني رهين زمن معين، لا يتجاوز على ما يبدو القرن الرابع الهجري. [3]

2. النشاط واللسان:

ارتبطت الكثير من القبائل والبطون الزناتية بحياة الظعن والنجعة، فالإدريسي يصف القبائل الزناتية المنتشرة بين تاهرت وتلمسان بأنهم أصحاب تلك الفحوص، وأنهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى غيره.

---

(1) دومنيك فاليري، المرجع السابق، ج1، ص 191.
(2) الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 29.
(3) بن عريب مصطفى، المرجع السابق، ص 33-34.

كما أدرجهم ابن خلدون ضمن القبائل التي معاشهم من الإبل في قوله:" .. وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنا ... وهؤلاء هم العرب وفي معناهم ظعون البربر وزناتة.

فكانت منطقة الإبل بالبلاد الشرقية صحراء زناتة، خاصة وأن جل القفار والمفاوز بالمغرب الأوسط قد كانت لبطون زناتة.

وإلى جانب حياة الترحال والقيام بالإبل فإن معاشهم، أيضا كان يقول على قطع السابلة، وتحت ظلال رماحهم، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى وصف زناتة بالصعلكة والفوضى.

وعلى كل فهذا لا يعني أن كل زناتة رحالة يجرون وراء النجعة حيث نعثر على بعض البطون المنتمية إليها قد فضلت حياة الاستقرار سواء بالمدن أو بالقرى، وغالب نشاطهم عمل الجزارة، كما كان لبعضهم المشاركة في الزراعة حول بعض المدن والقرى. (1)

---

(1) بن عريب مصطفى، المرجع السابق، ص ص 43-44.



الفصل الأول: لمحة تاريخية عن الدولة الزيرية والحمادية:

1- لمحة تاريخية عن الدولة الزيرية:

1-1- النسبة والنشأة.

1-2- الامتداد الجغرافي.

1-3- أهم حكامها.

1-4- أهم عواصمها.

2- لمحة تاريخية عن الدولة الحمادية:

2-1- النشأة.

2-2- الامتداد الجغرافي.

2-3- أهم حكامها.

2-4- أهم عواصمها.



الفصل الأول: لمحة تاريخية عن الدولة الزيرية والحمادية:

1- لمحة تاريخية عن الدولة الزيرية:

1-1- النسبة والنشأة:

1-1-1- النسبة:

يرجع نسب بني زيري إلى قبيلة صنهاجة [1] البربرية؛ التي تنتمي إلى فرع من البرانس، ولم تكن صنهاجة مجرد قبيلة؛ بل كانت شعبا عظيما، لا يكاد يخلو قطر من أقطار المغرب من بطونه وأفراده، مما دفع ابن خلدون إلى القول بأنهم يمثلون ثلث البربر.

وقيل: أن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطنا، ورياسة في ثلاث فرق، وهناك من قسمها إلى قسمين وهما اللذين أسسا بعض الإمبراطوريات في بلاد المغرب، فرع تلكاتة التي ينتمي إليها بنو زيري- وهي الدولة التي سنتكلم عنها في هذا المبحث- بإفريقية والأندلس، وبنو حماد بالمغرب الأوسط، وفرع لمتونة الذي تمكن بمساعدة أبناء جنسه من فرع مسوفه، من إقامة الدولة المرابطية، وقد كان فرع تكاتة أهل مدر -حضريين- وفرع لمتونة أهل وبر - بدو رحل- [2]

كما قلنا سابقا فابني زيري ينتمون إلى بلكانة وكانت أراضيها بالمغرب الأوسط تمتد من تيهرت حتى الزاب وتشمل مراكز مثل مليانة، المدية، الجزائر وحمزة (البويرة) تحدها من الشرق قبيلتي كتامة ومن الغرب قبيلة مغراوة الزناتية وتعتبر صنهاجة من أقوى القبائل البريرية بالمغرب الأوسط حيث كانت هي الأقدر على مواجهة زناته. [3]

2- النشأة:

كان مناد بن منقوش على رأس تلكاتة قبل سقوط الدولة الأغلبية سنة 296هـ، وقد كان

---

(1) وصنهاجة من ولد صنهاج، وهو تحريف عربي للفظ صناك البربري، محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 17.

(2) محمد الطمار، المرجع السابق، ص 36، ورشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، 1997، ص 6.

(3) صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط:1، الجزائر ص 146.

يتميز بقوة عجيبة، وكان كثير المال والولد، حسن الضيافة لمن يمر به، وذات يوما استقبل ضيفا مغربيا، فالتمس مناد أن يقدم له العون، وبعدما تفحص الضيف كتف الشاة، طلب إلى مضيفه

أن يقدم له أبنائه، فتم له ذلك، فأخبره أنه سيكون من أبنائه من يملك بلاد المغرب بأسرها.

ما إن ولد زيري حتى بدت إشارات تؤكد صحة ما تنبأ به الزائر، فقد كان يقوم على رأس أبناء عمه وبعض الشبان الصناديد بغارات على قبائل زناتة.

وبفضل ما كان يتحلى به من شجاعة وحزم وكرم وتواضع للعامة ظهر بمظهر البطل في عيونهم.

قال بعضهم : تقدم زيري في أيام أبيه وقاد كثيرا من صنهاجة وأغار بهم وسبى.

ويتضح أن مناد تنازل عن جزء من سلطنته لذاك الشبل الباسل. [1]

وبعدما أخضع زيري الصنهاجين لسلطته، كان الزناتيون قد تأهبوا لمهاجمته بالتواطؤ مع أبناء قبيلته الذين كسر شوكتهم منذ عهد قريب، فلما اطلع زيري على ما كان يحاك ضده في الخفاء شن حربا على الزناتيين، فهجم عليهم ليلا على حين غفلة بأرض مغيلة.

وقتل منهم كثير وغنم ما معهم، ثم عاد الصنهاجيون إلى جبل تيتري محملين بالغنائم ومعهم 300 فرس أخذوها من العدو.[2] وقد شاع خبر هذه المعركة، فذاع صيته بالمغرب الأوسط، ولما استوثق الملك للشيعة بإفريقية تحيز إليهم انتقاما من خصومه زناتة ومد يد العون للفاطميين في قضية محمد بن خرز، فليس غريبا أن يكون ظهر له خصوم زناتة فاستطال عليهم، فكثر تبعه حتى ضاقت بهم أرضهم، فلبى دعاءهم. [3]

---

(1) حمادي الساحلي، الدولة الصنهاجية " تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12 م، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج1، ص ص 37-39 (كتاب مترجم لمؤله الهادي روجي إدريس)، ورشيد بوروبية، المرجع السابق، ص ص 7-8.

(2) أيمن السيد عبد اللطيف، الحياة الثقافية في المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية، ص 29.

(3) محمد الطمار، المرجع السابق، ص 25.

1-2- الامتداد الجغرافي:

الدولة الزيرية إحدى القوى السياسية والعسكرية التي قامت في المغرب الأوسط، ولم تكن معالم حدود الدولة مستقرة، حيث كانت تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية والعسكرية التي تمر بها بلاد المغرب، ومن خلال بحثنا لم نوفق لتحديد الدولة الزيرية جغرافيا وذلك لقلة المصادر، ويمكن أن نعرض أهم المدن التي كانت تحت حكم الدولة الزيرية خلال حكم ملوكها، فقد فتح زيري بن مناد قلعة مغيلة التي تقع بين فاس ومكناس، ومدينة أشير وكانت عاصمة للدولة الزيرية في المرحلة الأولى من حكم الدولة، وبعد ذلك أمر ابنه بلقين بتأسيس ثلاث مدن في المغرب الأوسط وهي : الجزائر، ومليانة، والمدية.

وفي عهد بلقين بن زيري فقد استولى على المغرب الأوسط كله، كما ظم مدينة المسيلة وأعمالها، وبذلك تكون الدولة الزيرية حكمت إفريقية والمغرب الأوسط فقد عينه المعز الفاطمي خليفة عليهما سنة 361هـ-373هـ/972م-984م، وفي عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي منح بلقين طرابلس وأجدابية وسرت، وفي يوم الأربعاء لخمس بقين من شعبان 368هـ/27 مارس 974م، سار بلقين إلى مدينة فاس ففتحها وظمها إلى ملكه، ثم توجه إلى سلجماسة وبلاد الهبط كلها فاستولى عليها، ثم فتح البصرة وأصيلة، وحارب قبيلة برغواطة وتغلب عليها(1)

---

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 17.

1-3- أهم حكامها:

1-3-1 المؤسس زيري بن مناد:

وقد تقدم ذكر نبذة عنه وقد كانت فترة حكمه 36 سنة من سنة 324هـ إلى 360هـ، ففي شهر رمضان من سنة 360هـ / 28 جوان 27 جويلية 971 م، انطلق زيري على رأس جيش عتيد مكون من الصنهاجيين وبعض العناصر الأخرى للتصدي للتحالف على حين غرة قبل أن يجد المتحالفون الوقت الكافي لتنظيم صفوفهم، فهزمه أمير مغراوة الخير بن محمد وجعفر بن علي شر هزيمة، وفي أوج المعركة، بينما زيري يثير حماس جيشه، إذ كبا به فرسه فسقط على الأرض فقتل.[1]

وفي الجملة فقد كان زيري بن مناد أميرا ذا سلوك حسن اتجاه الشعب والتجار، ولكنه أمسك البربر بيد من حديد وبسط سلطانه على مدينة أشير التي أسسها هو بنفسه، وعلى الإقليمين اللذين أسندهما إليه المنصور، وهما منطقتا تاهرت وباغاية، وكان جميع بنائه الذين يربو عددهم على المئة، كرماء وفرسانا صناديد، وكان أبوهم قد عهد إليهم بعدة حملات عسكرية.[2]

1-3-2 بلكين [3] بن زيري:

إثر وفاة زيري انتقلت القيادة لابنه بلكين بدون صعوبة ومشاكل والذي كان موجود بمدية أشير آنذاك، وهو أول ملوك بني زيري بعد رحيل المعز من المنصورية [4]، واتخذ منها عاصمة له[5]، وكان ساعيا للأخذ بثأر والده، فقد تولى بلكين بن الزيري شؤون أفريقية (تونس) والمغرب الأوسط يوم الأربعاء 20 ذي الحجة سنة 361هـ/ 2 أكتوبر 972 م، بعدما انتقل المعز بالخلافة الفاطمية لمصر، فعهد له بالإمارة ولقبه كما ذكر ابن خلدون" بسيف

---

(1) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 67 .

(2) نفسه، ج1، ص 68.

(3) وهناك من قال : بلقين، رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 7.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صاد، 1977م، ج3، ص 94.

(5) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1965م، ج1، ص 324.

الدولة وعرب اسمه بيوسف وكناه بأبي الفتوحات "[1]

عوضا عن الكنية التي يبدو أنه كان معروفا به، وهي أبو حبوس.

كما أضفى عليه لقبا فخريا، وهو سيف الدولة، وقيل سيف العزيز بالله، أو عدة العزيز بالله، ولو أن هذا اللقب قد حمله أيضا خليفته المنصور.

وأطلق عليه مصدر واحد اسم " بلكين بن زيري ظهير الدولة. [2]

وقد اختاره نظرا للخصال التي كان يتميز بها من شجاعة وعزم وخاصة للدور الفعال الذي لعبته قبيلة الصنهاجة بقيادة أبيه الزيري بن مناد في التمكين للدعوة الفاطمية بالمغرب الأوسط ومساندته للقضاء على ثورة القبائل الزناتة، وهكذا بدا عهد الدولة الزيرية.

وقد توفي بلكين يوم الأحد 21 ذي الحجة 373هـ/ 25 ماي 984م بمرض أقعده، في مكان بين تلمسان وسلجامة، وقد كانت مدة حكمه ثلاثة عشر سنة وبضعة أشهر، بوصفه أمير صنهاجة خلفا لأبيه زيري، وحكم اثنتي عشرة سنة بوصفه خليفة الفاطميين. [3]

1-3-3- المنصور بن بلكين:

وقد تولى الحكم بوصية من أبيه، وذلك سنة 374هـ/ 984، والجدير بالملاحظة أن المصادر التي بين أيدينا لم تذكر أي معلومات قبل تقلده الحكم، بل لم تذكر حتى تاريخ ولادته.

من حمالاته التي قام بها: حملة يطوفت وارتحال المنصور إلى المغرب، فقد وجه المنصور أخاه يطوفت سنة 374هـ على رأس جيش إلى فاس وسلجامة، يطلب ردهما ورد تلك البلاد الغربية. [4]

وفي سنة 386هـ توفي أبو الفتوح المنصور عدة العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله بن زيري

---

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961 م، ص 317 ، وحمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 79.

(2) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص ص 79-80.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء، نشره جمال الدين لشبال، القاهرة، ط2، 1996م، ج2، ص 64، دحمان إيمان وشندي أمينة، الصراع الزيري الحمادي وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية (362-547هـ /973-1152م)، مذكرة ماستر، إشراف خلفات مفتاح، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية، 2016-2017م، ص 19، بن سادات نصر الدين، المغربان الأدنى والأوسط تحت حكم بني زيري، جامعة وهران، ص ص 40-41.

(4) بن سادات نصر الدين، المرجع السابق، ص 41.

بن مناد الصنهاجي في يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الأول 26 مارس 996م ودفن بقصره الجديد الخارج عن المنصورية، وكانت أيامه أحسن أيام. (1)

1-3-4- باديس بن منصور:

في ليلة الأحد 13 ربيع الأول 374هـ / 14 أوت 984م، ولد للمنصور ولد سماه إدريس، وقد ختن في شهر ربيع الأول 382هـ / 7 ماي 991م- 5 جوان 992، في قصر والد بالمنصورية، (2)

وقد تولى الحكم وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكان يلقب بنصير الدولة، وأول ما قام به أنه خالف وصية المعز(3)، وقد أشارت بعض المصادر إلى أنه يوجد معارضة ونزاع بين بني زيري بن مناد وبني حمامة بن مناد في تولية باديس، رغم ما إلتزموا به منه عهود، وقد تمكن عبيده وعبيد أبيه من إحباط هذه المعارضة، وقد تنقل إلى عدة مناطق، فقد سار إلى سردانية وأتاه الناس للتعزية، فقد لبث فيها بضعة أيام ثم رجع إلى المنصورية، (4)

وقد توفي في النصف من ليلة الأربعاء : 30 ذي القعدة 406هـ / 10 ماي 1016م من أثر حصر البول، وهو يبلغ من العمر 33 سنة، وقد كانت هذه الوفاة المفاجئة سببا في إنقاذ حماد من الهلاك، ولولاها لما تمكن من تأسيس دولة بني حماد (5)

1-3-5- الأمير المعز بن باديس:

وهو أول أمير صنهاجي مولود بالمنصورية، وقد ولد يوم الخميس 5 جمادى الأولى 389هـ/ 17 جانفي 1008م، وقد بويع بالإمارة يوم 21 أو 23 ذي الحجة 406هـ / 31 ماي أو 2 جوان 1016م، فكان عمره حين تولى الحكم 9 سنين. (6)

وقد شهد عهده كارثة سياسية وهي زحف العرب. (7)

---

(1) دحمان إيمان وشندي أمينة، المرجع السابق، ص 21، بن سادات نصر الدين، المرجع السابق، ص 42
(2) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص ص 109-119.
(3) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 332.
(4) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 120، بن سادات نصر الدين، المرجع السابق، ص 43
(5) دحمان إيمان وشندي أمينة، المرجع السابق، ص 22.
(6) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 208.
(7) عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ص 187.

1-4- أهم عواصم الدولة الزيرية:

1-4-1- مدينة أشير: 324 هـ/ 935-936م:

كما قلنا سابقا بعدما ذاع صيت زيري وتأكدت قوته، ونزولا عند رغبة أتباعه الذين ازداد عددهم، أكثر فأكثر غادر محل إقامته الذي أصبح ضيقا وأسس جنوب شرقي مدينة الجزائر في جبل تيتري على حولي 12 كلم، من عين بيوسف حاليا، مدينة أشير [1] التي كثيرا ما كانت تسمى : أشير زيري، وذلك سنة 324هـ / 935 في عهد الخليفة الفاطمي الثاني أبي القاسم القائم بأمر الله، 322-324هـ / 934-946م، فاستقدم البنائين من حمزة والمسيلة وطبنة، واستجابة لطلبة أوفد إليه الخليفة الفاطمي الحرفيين، ووضع على ذمته مهندسا معماريا لا مثيل له في إفريقية، كما أمده بجميع المعدات، ولا سيما الحديد، ولما انتهى بناء المدينة لم يخف الخليفة، رضاه عن ذلك، فقدم كل المساعدة إلى زيري الذي عمر المدينة الجديدة ببعض أعيان طبنة والمسيلة وحمزة، وقد كانت تلك القلعة الحصينة تقع بين جبال شامخة محيطة بها إلا أنها تتسم بنقطة ضعف وحيدة تقع في الجهة الشرقية من المدينة، وقد عهد بحمايتها إلى عشرة رجال فقط، كما كان منبعا للمياه في الغزيرة، فهي تحتوي على عيون ثرة ففي داخل المدينة عينان لا يبلغ لهم غور ولا يدرك لهما قعر.

ولمدينة أشير بساتين وأرض تصلح للفلاحة.

وسرعان ما أصبحت أشير عامرة بالتجار والعلماء والفقهاء، ومزدهرة غاية الإزدهار.

وقبل ذلك التاريخ لم تكن المعاملات التجارية تقع في تلك المنطقة بالنقود بل بالمقايضة بواسطة الإبل والبقر والغنم، ويقال إن زيري قد ضرب النقود وأجرى رواتب العسكريين، حتى صار الناس يتصرفون في مبالغة طائلة من الدراهم والدنانير.

وبعدما أصبح الناس في مأمن من الغارات، تفرغوا إلى أشغالهم.

وبعدما بنى زيري عاصمته التفت إلى بناء وإحياء مدن أخرى يدعم بها مملكته، فأمر ولده يوسف بلكين بتجديد بناء جزائر بني مزغنة ولمدية ومليانة. [2]

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 7.

(2) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 60.

1-4-2- مدينة المنصورية بالقيروان:

فقد اتخذها المنصور بن بلكين عاصمة له، ففي سنة 345هـ/24 ماي 985 م- 12 ماي 986م، أمر أبو الفتح المنصور أن يعمل له بالقيروان - وفي رواية أخر بجامع القيروان- أبواب من حديد، وأمر ببناء قصره الكبير بصبرة المنصورية، وقد تم بناؤه بسرعة فائقة خلال السنة الموالية، 376هـ/13 ماي 987-2 ماي 987م بعناية يوسف بن عبد الله الكاتب، وقد بلغ إنفاقه فيه قبل تمامه مئة ألف دينار.

وأحاط ذلك القصر والقصر المجاور له الذي كان قد بناء شفيع الصقلي، بسور واحد، وغرس حوله الأشجار من كل ناحية، فبلغ الإنفاق عليه ثمانة مئة ألف دينار.

ووصل المنصور إلى إفريقية قادما من أشير يوم الاثنين 15 محرم 377هـ / 17 ماي 987م، ونزل في القصر الجديد، وأتى معه كاتبه عبد الله وجميع عساكره ووجوه بني عمه ورجاله. (1)

1-4-3- المهدية:

وفي عهد المعز انقسمت الدولة الزيرية إلى دولتين بعد أحداث وانشقاق أسري : دولة في إفريقية وعاصمتها القيروان ثم المهدية، وتعرف بالدولة الزيرية التي احتفظ لها المؤرخون بالتسمية الأصلية لمؤسس الدولة، زيري، ودولة أخرى في المغرب الأوسط عاصمتها أشير ثم القلعة، ثم بجاية، وتعرف بالدولة الحمادية. (2)

---

(1) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 102-103.

(2) يوسف بن أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ج1، ط:1، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000م، ص 80.

2- لمحة عن الدولة الحمادية:

2-1- النشأة:

2-1-1- بوادر ظهور حماد:

بدأ حماد بالظهور على مسرح الأحداث منذ ولاية أخيه المنصور سنة 373هـ/984م، وقد عقد المنصور لأخيه حماد على أشير والمسيلة، وكان يتداول ولايتها مع أخيه يطوفت، وعمه أبي البهار، وبوفاة المنصور خلفه ابن باديس فأقطعه ولاية أشير في 387 هـ/ 13 فيفري - 13 مارس 997، فخرج عاملا عليها، وأعطاه خيلا كثيرة وكسى جليلة، وكان حماد قد احتفظ أيضا بالمسيلة،[1] ومنحه لقب الأمير، وعهد إليه محاربة زناتة، واشترط حماد على ابن باديس ولاية كل بلد يفتحه، وقد تمكن شيئا فشيئا أن يستقل بالمغرب الأوسط إداريا وعسكريا وعزز استقلاله السياسي. [2]

ويعتبر التاريخ الرسمي والعملي لقيام الدولة الحمادية، هو عام 408هـ/ 1017م، لكن الفترة الممتدة بين 395هـ - 408 كانت الفترة الحاسمة التي تمخض عنها قيام الدولة.

فقد استطاع حماد بوسائل متعددة في هذه الفترة أن يبرز نفسه كرجل جديد بقيادة دولة ينفرد بها لوحده. [3]

2-1-2- تأسيس قلعة بني حماد : 398هـ/ 1007-1008م:

كان من واجب حماد صاحب الزاب، والمغرب الأوسط أن يسعى إلى تأسيس عاصمة مملكته حتى يتسنى له أن يتبوء مكانة الملوك.

وقد أقام تلك العاصمة في موقع منيع شمال شرقي ميلة في خاصرة جبل المعاديد في مكان يقال له أبو الطويل، بالقرب من جبل كيانة المسمى أيضا بجبل عجيسة، وهذه العاصمة هي قلعة أبي الطويل، أو قلعة بني حماد أو القلعة.

وقد تأسست سنة 398هـ ونقل إليها حماد سكان المدينتين المسيلة وحمزة، كما جلب إليها

---

(1) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 121، ورشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 18 .

(2) عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، 2012م، ص 73.

(3) عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة للنشور والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص 47.

الجراوة، ويبدو أن تلك المدينة قد شهدت تطور كبيرا في وقت قصير. [1]

وفتح أبوابها للباحثين حتى من اليهود والنصارى وازدهرت القلعة بالسكان وخاصة المهتمين بالعلوم والفنون والتجارة وشيد بها القصور والمباني العامة واستكثر الفنادق والمساكن وقد حظيت القلعة بعناية كبيرة. [2]

ثم أقبل عليها المسلمون من إفريقية والمشرق كتجار والحرفيين والعلماء حتى أصبحت مدينة كبيرة ومزدهرة فأثاره هذا العمل الكبير حسب شيوخ صنهاجة واتهموا حماد لدى باديس أنه يسعى للاستلاء على السلطة.

فبعث له أمير يدعوه إلى التنازل عن مدينة تيجس وقسنطينة لابنه المعز رفض حماد وأعلن الانفصال عن الدولة الزيرية واستبدل الخلافة الفاطمية بالخلافة العباسية.

واضطهد الشيعة، ومن سوء الحظ فإننا نجهل ظروف هذه العملية السياسية الدينية وأبعادها. [3]

ولما سمع باديس بخبر هجوم جيش حماد، قامت حرب طويلة بينهما، متقطعة انهزم حماد وعاش بقية حياته إلى أن وافته المنية على إثر مرض عضال أصابه. [4]

2-2- الامتداد الجغرافي:

الدولة الحمادية إحدى القوى السياسية التي قامت في المغرب الأوسط، ولم تكن معالم حدود الدولة مستقرة، حيث كانت تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية والعسكرية التي تمر بها بلاد المغرب، ويمكن أن نحدد الإطار الجغرافي من بجاية شرقا ووادي ملوية وراء تلمسان غربا لتعرف هذه الحدود اتساعا أشمل في العهد الحمادي ممتدة من مدينة بونة شرقا كحد فاصل بين المغربين الأوسط و الأدنى (إفريقية) إلى مدينة تلمسان وما والاها كحد فاصل بين الأوسط والأقصى. [5]

---

(1) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 144

(2) حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 6 إلى القرن، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1992م، ج1، ص 679.

(3) عبد الحليم عويس، نفسه، ص 146.

(4) عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر عامة، دار المعرفة للطباعة والنشر، الجزائر، ج1، ص 252 .

(5) موسى هيصام، الجيش الحمادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص1، ويعيش عبد المجيد، بجاية في عهد بني حماد، مذكرة لنيل لماستر، إشراف زرقوق محمد، جامعة الجيلالي -خميس مليانة، 2014-2015، ص 9.

وجاء في كتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها مايلي: كانت المملكة الحمادية من تأسيسها إلى وفاة محسن بن القائد تشتمل على المدن، والمناطق التالية :

قلعة بني حماد، والمسيلة، وطبنة، والزاب، وأشير، وتاهرت، ومرسي الدجاج، وبلاد زواوة، ومقرة، ودكامة، وبلزمة، وسوق حمزة.[1]

وفي عهد بلقين بن محمد خضعت مدينة فاس، للسلطة الحمادية.

وفي أيام الناصر بن علناس توسعت المملكة توسعا كبيرا حيث أننا نشاهد تأسيس مدينة بجاية، وإدخال عدد كبير من المدن والمناطق، تحت السلطة الحمادية وهي : مليانة، ونقاوس، قسنطينة، والجزائر، وبسكرة، وصفاقس، وقسطيلية، وتونس، والقيروان.

أما في عصر الأمراء الذين خلفوا الناصر نشاهد إدخال مدينة بونة في المملكة الحمادية في عهد المنصور، وخضوع أهل جربة في أيام العزيز. [2]

2-3- أهم حكامها:

كان ملوك هذه الدولة رجالا عظماء يهتمون بالشعب ويسعون إلى نشر الأمن في كل المناطق، وقد عملوا على تنشيط الفلاحة ووسائل العمران ،وجلبوا إلى بلاطهم العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من رجال الفكر، وقد توالى على العرش الحمادي تسعة أمراء وحكم بنو حماد المغرب الأوسط من سنة (408هـ/1017م) وأمراءهم على التوالي، حماد مؤسس الدولة وثمانية آخرون ينقسمون إلى ثلاثة فروع، الفرع الأول ينتسب إلى القائد بن حماد ويشتمل على القائد وابنه المحسن والفرع الثاني ينتسب إلى علناس بن حماد والمنصور بن الناصر، والفرع الثالث إلى باديس بن المنصور والعزيز بن المنصور ويحي بن العزيز. [3]

2-3-1- المؤسس حماد بن بلكين:

فقد كان رجلا قوي النفوذ صعب المراس، فقد كان مقداما، ماهرا، ذو رأي ثاقب.

---

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 39.

(2) نفسه، ص 117.

(3) بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م، ص207، ورشيد بورويبة، نفسه، ص 116، نشيد رافعي، شخصية ابن حماد الصنهاجي 628هـ، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، ص 393.

وقد درس الفقه بالقيروان، وقرأ كتب الجدل، [1] وقد توفي في رجب سنة 419هـ/ 24 أوت 1029م بتازمرت، في ضواحي القعلة، وكان قد خرج متنزها فمرض ومات، وحمل إلى القلعة ودفن بها وولي بعده ابنه القائد.[2]

2-3-2- القائد بن حماد:

بعد وفاة حماد خلفه ابنه القائد بدون صعوبة وبقي على رأس الدولة خمسا وعشرين عاما، وقد كان رجلا صارما، قاسيا أكثر من والده. [3] وقد مات القائد بعد ثلاث سنين من معركة حيدران في شهر رجب 446هـ /أكتوبر 1054م، حسب قول ابن الأثير، وأما ابن عزارى فذكر أن القائد سنة 441هـ/1049م[4]

وكان سديد الرأي خلع طاعة بني عبيد ودعا لبني العباس. [5]

2-3-3- محسن بن القائد:

قبل ممات القائد كان قد عين ابنه محسنا ليخلفه على رأس الدولة الحمادية، على قول ابن الأثير، ولم تدم مدة حكمه إلا تسعة أشهر، فقد كان عهده كثير الاضطراب.

وذلك لأن الأمير الحمادي الثالث خالف ما كان أبو أمره به أبوه وعزل جميع أعمامه، فثار عليه عمه يوسف عامل المغرب في عهد القائد الذي كان قد أساس قلعة اسمها الطيارة. [6]

2-3-4- بلقين بن محمد:

ولي بلقين الأمر في رجب 447هـ / يونيو 1055م، فكان على قول ابن خلدون" قرما

---

(1) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 143، عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت، ص 267، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي، وإبراهيم الكتابي، نشر وتوزيع، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ج3، ص 71 .

(2) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج1، ص 194، زهيرة صغيور، جوانب من حضارة قلعة بني حماد (العمران والفنون نموذجا)، إشراف عبد الغني حروز، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية 2019-2020م، ص 23، كتاب فائزة و قاسم شهيرة، الجوانب الفنية في الدولة الحمادية، (408-1017هـ/547هـ-1152)، مذكرة ماستر، إشراف شلبي زينب، جامعة البويرة، كلية العلوم الإنسانية، 2014-2015، ص 13.

(3) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 40.

(4) زهيرة صغيور، المرجع السابق ص 26، كتاب فائزة و قاسم شهيرة، المرجع السابق، ص 16.

(5) ابن الخطيب، المرجع السابق، ص 86.

(6) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 52، زهيرة صغيور، المرجع السابق ص 28، كتاب فائزة و قاسم شهيرة، المرجع السابق، ص17.

حازما، سفاكا للدماء، هذا فيما يخص حياته أما بما يتعلق بالدولة الحمادية في عهده، فنذكر أن المغرب الأوسط شاهد هذه الأحداث وسنذكر باختصار :

دخول بني هلال في المغرب الأوسط، ووصول ممثل الخليفة العباسي إلى القلعة، محاربته زناتة، ثورة أهل بسكرة، غزو المغرب الأقصى. (1)

وقد قتل سنة 454هـ/ 11 يوليو 1062م، وقد قتله الناصر بن علناس. (2)

وكان كثير الغارة على المغرب. (3)

2-3-5- الناصر بن علناس:

وقد تولى الحكم بعد قتله للأمير بلقين وذلك سنة 454هـ، وقد كان وصوله للحكم فاتحة عهد جديد من الاستقرار النسبي في تاريخ الدولة الحمادية، ويعتبر وصوله للحكم نقلا للسلطة إلى الفرع الثالث من أبناء حماد، ولقد جاء هذا الانتقال انتقالا بالأسرة من عهد البناء السياسي إلى عهد البروز الحضاري، الذي مثله أبناء علناس، ولقد لعب أبنائه الدورين الأخيرين في حياة الدولة الحمادية، وقد كان الناصر مهيئا بصفاته الخاصة ليقود هذا الدور الحضاري. (4)

ومن بين أهم الأحداث التي واجهته: هي تنظيم الدولة، وثورة أهل بسكرة، وقتل الوزير خلف بن أبي حيدرة، وتولية أبي بكر بن أبي الفتوح، وهجوم علي بن رقان على قلعة

بني حماد، وخضوع ثلاثة مناطق من إفريقية للناصر، وهجوم الحماديين على إفريقية. (5)

وتأسيس مدينة بجاية (6)وبعده تأسيسها قام الناصر بالهجوم على إفريقية من جديد، ثم اصطلح مع الأمير الزيري تميم، وحارب زناتة، وعقد اتفاقا مع البابا غريغوار السابع.

وقد توفي في سنة 481هـ / 1088-1089م، بعدما تولى الأمر سبعا وعشرين سنة، وخلفه ابنه المنصور. (7)

---

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 54.

(2) نفسه، ص 56، زهيرة صغيور، المرجع السابق ص 26، كتاب فائزة و قاسم شهيرة، المرجع السابق، ص 18.

(3) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 613.

(4) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 58.

(5) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص 58-59، كتاب فائزة وقاسم شهيرة، المرجع السابق، ص 19، عبد الحميد زغلول، تاريخ المغرب القديم، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1978م، ص 451.

(6) زهيرة صغيور، المرجع السابق ص 32.

(7) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 69 .

2-3-6- المنصور:

وقد تولى الحكم وهو ابن إحدى عشرة سنة، وقد بقي المنصور في القلعة مدة سنتين، ثم انتقل إلى بجاية سنة 483هـ/ 1091/1090، وقد كان مولعا بالبناء، من أهم أعماله تشييد المصانع، واتخاذ القصور، وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك، والمنار، والكوكب، وقصر السلام، وفي بجاية قصر اللؤلؤة، وقصر أميمون.

وقد كانت مدة حكمه سبع عشرة سنة، وعرف المغرب الأوسط أحداثا عديدة منها : ثورة بلبار، وأبي يكنا بقسنطينة، ومحاربة المرابطين، وبني مانو، ووصول أميرالمرية إلى المغرب الأوسط، وغزو زناتة، وناحية بجاية. [1]

وقد توفي سنة 498هـ/1105م، وخلفه ابنه باديس. [2]

2-3-7- باديس بن المنصور:

لقد كان شديد البأس، عظيم السطوة، سريع البطش، وقد ابتدأ عهده الذي دام ثمانية أشهر بالإساءة إلى كل من حوله، وقد لقي حتفه قبل أن يستكمل سنة من حكمه، إذ توفي في السنة التي ولي فيها، 13 ذي الحجة 498هـ/ 1105م، ويقال أن أمه قد سممته، لأنه كان يهددها ويتوعدها، وقد تولى بعده أخوه العزيز بن منصور الحكم. [3]

2-3-8- العزيز بن منصور:

كان باديس عزل أخاه العزيز عن بجاية وغربة إلى جيجل، بعد وفاته أرسل القائد علي بن حمدون رسولا وخلف أخاه باديس على العرش الحمادي، وقد تولى الحكم وهو بعمر السابعة عشر، وكان يلقب بالميمون لأنه ولد في ليلة ولاية أبيه.

ومن الأحداث الهامة التي وقعت في عهد العزيز نذكر : منها الغزو الحمادي لأفريقية، وهجوم بني حماد ومرور ابن تومرت بالمغرب الأوسط، وغزوة قلعة زرعة. [4]

---

(1) وجلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق 5-6 هـ، رسالة ماجيستير، إشراف محمد بو ركبة، 2014-2015م، جامعة وهران، ص 28.

(2) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 78.

(3) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 147-148، وجلول صلاح، المرجع السابق، 29.

(4) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 80 وعبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 148، ، وجلول صلاح، المرجع السابق، ص 30.

توفي العزيز بن منصور الأمير الحمادي في سنة 515هـ/1121م-1122م، حسب ابن خلدون، وعلى قول ابن عذارى في سنة 518هـ/1124-1125م [1]

2-3-9- يحي بن العزيز:

وقد تولى الحكم بعد والده، وقد كان مستضعفا مغلبا للنساء، محبا للصيد، هذا ما يتعلق بصفته، أما من الناحية التاريخية، فإن أهم الأحداث : زيارة الأمير الحمادي لقلعة بني حماد، وقمع ثورة أهل توزر، والهجوم على المهدية، وغزو تونس، والهجوم الثاني على المهدية، ومعركة سطيف، وغيرها. [2]

وقد قضى أيامه الأخيرة بمدينة سلا حيث توفي سنة 557هـ/1161-1162م. [3]

---

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 91.

(2) وجلول صلاح، المرجع السابق، ص 29.

(3) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 91.

2-4- أهم عواصمها:

2-4-1- القلعة:

بنيت قلعة بني حماد أو قلعة أبي الطويل كما يسميها البكري في سنة 398هـ/1007م على منحدر وعر، على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة 36 كلم من المسيلة- حاليا تقع قلعة بني حماد شمال شرق مدينة المسيلة-. [1]

وهي مدينة اختطها حماد بن بلكين 419هـ/1028م، لقول النويري:" وهي على جبل عجيسة البرنسية " وهو جبل عظيم من جبال كيانة. [2]

في حين أطلق عبد الرحمن بن خلدون على الجبل الذي اختطت فيه مدينة القلعة اسم كتامة[3]، غير أن هذا الاسم هو اسم لقبيلة والأصح هو كيانة وهذا ما تؤكده فيما بعد المصادر الجغرافية والتاريخية الأخرى.

ويحيط بقلعة بني حماد من ناحية الشمال قمة تاقربوست الحصينة، التي ذكرها ياقوت الحموي، في وصفه لموقع القلعة : " قلعة حماد مدينة متوسطة بين أكم، وأقران، ولها قلعة عظيمة على قمة جبل تسمى تاقربوست ..." [4]

أما من ناحية الشرق فهي تشرف على وادي فرج، ويحضنها من الناحية الغربية جبل الغورين،[5] وتطل من ناحية الجنوب على شط الحضنة وسهوله الفسيحة لقول أبو عبد الله الشريف الإدريسي: "... وأمامها في جهة الجنوب أرض سهلة متصلة بالانفراج، لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطلا، إلا على بعد منها، وعلى مسيرة أربع مراحل يرى جبالا لا تبين. "[6]

فضلا على اتصالها الجغرافي بسهول الحضنة لقول النويري : "... وإطلاله – أي جبل عجيسة الذي بنيت عليه- على بحيرة الحفنة – الحضنة – واتصالها بسهول فسيحة،

---

(1) بو عزيز يحي، موضوعات من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 35.

(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: محمد أو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984م، ص 34.

(3) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 202.

(4) الحموي، المصدر السابق، ص 390.

(5) إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 119.

(6) الإدريسي، المرجع السابق، ص 109.

وسمو علوه ولصعوبة ارتقائه."

وبذلك يتضح طبيعة الموقع الحصين الذي شيدت عليه مدينة القلعة، قال أبو عبد الله البكري: الذي عاصر تأسيسها وسجل ملاحظته بقوله : " .. وهي قلعة كبيرة ذات منفعة وحصانة.."

تميزت القلعة بمزايا إستراتيجية كبيرة أكثر من عاصمة الزيريين لأن حماد سارع لتحصينها وعمرها بسكان المسيلة وأولاد حمزة، إضافة إلى أنها ازدهرت ازدهارا كبيرا جعل منها قبلة لطلبة العلم وبعد زحف عرب بني هلال على افريقية أصبحت محط سكان القيروان فاضطر أهلها للتوجه إلى القلعة هروبا من بطش بنو هلال، فكان لهم الفضل في تطويرها.

ويذكر الإدريسي أن: «....مدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيراً وأوسعها أموالا وأحسنها قصوراً ومساكن....وهي في سند جبل سامي العلو صعب الارتفاع وقد استدار صورها بجميع الجبل ويسمى تقربوست وأعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الأرض. ».

" وكانت مدينة القلعة مثلثة الشكل، تزينها عدة أبواب محصنة وتشتمل على قصور عظيمة، رشيقة البنيان من بينها " قصر البحر" برسمه المائي البديع، غير أنه لم يبق من كل ذلك إلا الأطلال، والصومعة التي لا تزال قائمة، وقصر المنار بواجهته التي تشقها خطوط كبيرة على غرار قصور بلاد ما بين النهرين." (1)

2-4-2- بجاية:

تقع شمال المغرب الأوسط بين درجتي 22 طولا، و34 درجة، و15 دقيقة عرضا، وهي مدينة ساحلية تتوسط كل من إفريقية شرقا والمغرب غربا، بنيت على جرف حجر يحيط بها البحر من ثلاث جهات فيترسم موقعها بتقوس إهليجي عرضه حوالي 28 ميل. (2)

وقد تأسست في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري 460هـ/ 1067م، على يد الأمير الحمادي الناصر بن علناس بغرض اتخاذها عاصمة جديدة

لدولته الحمادية، وذلك بعد ما تعرضت عاصمته أشير وقلعتها للتخريب بسبب موقعة سبيبة.

---

(1) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 89-93، وعبد الغني حروز، " قلعة بني حماد من خلال المصادر والمراجع التاريخية "– الموقع والتأسيس– ص ص 1-11، وجلول صلاح، المرجع السابق، ص ص 13-14.

(2) جلول صلاح، نفسه، ص 23.

ولعل سبب اختيار بجاية لهذا الغرض، هو ما ستوفره المدينة الوليدة من سبل لحماية للحماديين من غارات الهلاليين، وذلك بفضل موقعها الجغرافي وتضاريسها الحصينة.(1)

وبعدما زارها الأمير، أعجب بها وقرر تشييدها لتكون مدينة كبيرة وعاصمة جديدة للحماديين، فاختط على الميناء الصغير مدينة أصبحت بعد ربع قرن عاصمة تضاهي حواضر العالم، واحتفظت بمكانتها لما يقرب خمسة قرون.

وكان تأسيسها قرب مصب نهر الصومام المعروف في العصر الوسيط بالوادي الكبير، وهو من أهم طرق المواصلات في تلك الناحية.

وبعد تشييد بجاية، انتقل الناصر بن علناس إليها سنة 461هـ/1068-1069، وأسس بها ورشتين لبناء السفن والمراكب، وشجع الناس على الانتقال إليها، ثم واصل خليفته المنصور بن الناصر من بعده تعمير المدينة. (2)

وتعتبر مرحلة بجاية في تاريخ الدولة الحمادية مرحلة التحضر، والانفتاح والهدوء والاتساع.(3)

(1) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 99 .

(2) محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، مقسم بنودال رايس حميدو الجزائر، ط :1، 2015م، ص ص 42-44

(3) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 99.



الفصل الثاني: تطور الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين ويشتمل على:

1- عوامل نمو الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين :

1-1- الدولة الزيرية.

1-2- الدولة الحمادية.

2- أهم الحواضر والمراكز والمؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

2-1- الحواضر العلمية في المغرب الأوسط.

2-2- المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين.

3- مظاهر الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

3-1- الدولة الزيرية.

3-2- الدولة الحمادية.

الفصل الثاني: تطور الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين ويشتمل على:

1- عوامل نمو الحركة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

دخل الإسلام إلى المغرب وانتشرت الثقافة العربية الإسلامية في حواضره مثل القيروان، وطبنة، وتلمسان، وتيهرت، -وهذا ما سنتكلم عنه في المبحث الثاني إن شاء الله-، ويرجع الفضل في ذلك إلى عدة عوامل، فدفعوا بها إلى الأمام دفعا بحيث لم يأتي عهد الزيريين والحماديين، إلا وأصبحت البلاد تنافس المشرق، والأندلس في جميع مسارب هذه الثقافة الفكري منها، والأدبي، والحضاري، والعلمي والفني، وسنذكر جملة من العوامل التي ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية فكلا الدولتين :

1-1- الدولة الزيرية:

انتعشت الحياة الفكرية بالدولة الزيرية وذلك بفضل تظافر جملة من العوامل منها:

1-1-1- الرخاء الاقتصادي:

المال هو مادة الحياة وبه يتحدد مستوى معيشة الأفراد، ويتعين ثقل الدول وقوتها من خلال اقتصادها ومدى قوته أو ترديه، ومن المعلوم أن أبهة الملك تزيد بزيادة المستوى الحضاري، وفي هذا السياق يقول ابن خلدون " واستمر ملك المعز بإفريقية والقيروان، وكان أضخم ملك عرفه البربر بإفريقية، وأترفه وأبذخه" ويربط ابن خلدون بين ضخامة الحضارة وكثرة المال، وأن الدولة هي السوق التي تنفق فيه أسباب الحضارة، وتتضح مظاهر هذه الحضارة في الاحتفالات سواء كانت شعبية كالختان، والاحتفالات الدينية أو إجتماعية كالزواج في البيت الزيري"، وأحوالهم في الولائم والجنائز والأعطيات، وكذلك تظهر في مراسم استقبال الوافدين من العلماء والسفراء وكبار رجال الدولة فيتطلب ذلك إقامة المواكب وتقديم الهدايا والأموال والتحف والدواب. (1)

1-1-2- تشجيع الأمراء على العلم والأدب:

كان الملوك والأمراء على مر عصور الحضارة الإسلامية الدور الأكبر في الازدهار الثقافي والعمراني، وذلك تبعا لثقافتهم ونشأتهم، فكلما كان الملوك والأمراء على قدر من الوعي والفكر والثقافة كلما ارتفعت نسبة التعلم وتوجيه المجتمع إلى الثقافة والرقي في جميع مناحي الحياة، وأينما وجد الأمن والاستقرار، وجدت الحضارة وانتشر العمران.

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 65.

وإذا تأملنا أمراء البيت الزيري نجد أن العلماء كان لهم دور سياسي ونشاط ديني واسع، فقد اهتم أمراء البيت الزيري برعاية العلم والعلماء مما شجع على إثراء النشاط الثقافي، فهذا الأمير باديس بن منصور يأمر بكتابة سجل لجميع الطلبة بالحفظ والرعاية، وأن يصرف عنهم ما وقع عليهم من المظالم، وهذا القرار يبين مدى تشجيع هذا الأمير لطلاب العلم ورعايته لهم ماديا ومعنويا.

وفي عهد هذا الأمير امتد تشجيعه للعلماء اليهود ويتضح ذلك من خلال أبراهام بن عطا – وكان طبيبا في بلاط ابنه المعز من بعده– عمل على ارتباط اليهود بالسلطان مما ساعد الرابي يعقوب بن نسيم من إنشاء مدرسة دينية في القيروان تتبع المدارس العراقية الشهيرة.

كما أعان الأمير المعز بن باديس في تطور الحركة العلمية والأدبية في عهده تطورا كبيرا، فقد عرف عنه تشجيع العلماء والأدباء، وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء حيث كانت تشد إليها الرحال من كل مكان، فكان المعز لا يسمع بعالم جليل أو شاعر فصيح إلا ويدنيه من حضرته، ويضمه لخاصته حتى سار بذكره الركبان، فيقول ابن بسام " ولم يكن أحد في زمانه أطول يدا بالمكارم ولا أعنى بلسان العرب ولا أحنى على أهل الأدب منه"، فصار بلاطه كما يصفه ابن خلكان" محط بني الآمال".

وسار الأمير تميم بن المعز على درب أبيه في تقديره للعلماء وأصحاب الفضل، فهذا ابن حداد المهدوي كان عالما يجليه ويقدره الأمير تميم بن المعز، واختص بتدريس النحو وألف عدة كتب فيه.

واهتم يحي بن تميم بالعلوم الدينية والعلوم الطبيعية، فأنشأ دارا لتدريس الكيمياء وأسكنها الطلاب.[1]

1-1-3- الرحلة في طلب العلم:

كان الأساس الأول للثقافة والأدب في جميع المعمورة هو القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة والأدب الجاهلي، إلا أن المشرق كان بمثابة الشجرة التي تفرعت منها فروع العلم في كافة أرجاء العالم الإسلامي، فكان طلبة العلم يتكبدون الصعاب والمشاق لكي يتعلموا على العلماء والمشائخ بالمشرق ويدونون سماعهم عنهم، ثم يحضرون تلك المرويات إلى القيروان، وهناك

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 72-80.

العديد من العلماء الذين جابوا البلاد شرقا وغربا طلبا للعلم وتكبدوا مشقة السفر، ومن هؤلاء العلماء:

أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي، كان من أهل العلم والقرآن والفرائض.

وأبو الحسن القابسي، إمام المذهب المالكي، لاسيما بعد وفاة ابن أبي زيد، كانت له رحلة إلى الشرق.

أبو محمد عبد الله بن محمد اللماني، وأيضا ابن الكاتب فقد رحل إلى المشرق، والقزاز رحل إلى مصر. وغيرهم كثير. [1]

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 81-90.

1-2- الدولة الحمادية:

شهدت الدولة الحمادية تطورا علميا باهرا، وقد توافد العلماء والأدباء والشعراء عليها من كل أقطار المعمورة، ويعود الفضل في ذلك لعدة أسباب منها:

1-2-1- التنافس بين المدن:

فقد انتشر في عصر الحماديين ظاهرة التنافس الثقافي بين المدن، وكان السباق قائما بين بلدان المشرق والمعرب والأندلس، وبين عواصمها المختلفة منها : المهدية وبجاية ومراكش وفاس، وسبتة، وبلرم، وبغداد، والقاهرة[1]، وبرزت كل مدينة بلون من العلوم غلب عليها واشتهرت به، فالمهدية عاصمة البحوث الكيماوية، وصقلية عاصمة نقل العلوم العربية إلى اللاتينية، وبجاية عاصمة الرياضيات. [2]

1-2-2- تشجيع الأمراء على العلم والأدب:

وقد انتشر في هذا العصر ظاهرة التنافس الثقافي، وكان السباق قائما بين بلدان المشرق، والمغرب، والأندلس، وبين عواصمها المختلفة.. إلى أن قال : وساعد على نجاح هذا التنافس بالنسبة للحماديين، رعايتهم وتشجيعهم للعلماء، والمفكرين، فقد كانوا يؤثؤون العلماء على سائر الطبقات، ويقدمونهم في الدولة، ويجودون عليهم بالعطاء وجودا حاتميا. [3]

وكان الناصر بن علناس أطول الملوك الحماديين باعا في هذا المضمار، فقد كان يؤمه الأدباء ويقصده الشعراء، فيغدق صلاته عليهم.

وكان الأمير المنصور يكتب، ويشعر، ويشجع الشعراء والأدباء.

وكان يحي فصيح اللسان والقلم، مليح العبارة. [4]

1-2-3- الرحلة في طلب العلم:

كانت حركة الانتقال المتاحة بين العواصم الإسلامية، والتي غلب عليها طابع البعثات والرحلات العلمية، من أبرز العوامل في إذكاء روح النشاط الثقافي، وهي ظاهرة عامة في العالم الإسلامي كله في هذه العصور بدرجات متفواتة، ولربما كانت في عالمي الأندلس،

(1) بونار، المرجع السابق، ص 283، الجيلالي، تاريخ الجزائر، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت، 1965، ص 79.

(2) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 249.

(3) الكعاك، بلاغة العرب، مكتبة العرب، تونس، ص 26.

(4) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 249-250.

والمغرب، على نحو يفوق المشرق، لشعور المشارقة بأنهم الأصل الذي يسعى إليه، وأيضا شعور المغاربة

بمكانة المشارقة أهل الرسالة، والرسول عليه الصلاة والسلام.

لقد كانت الحدود الأقاليم غير ذات موضوع، وهي لم تمثل حاجزا أو فاصلا بين الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء[1]، بل كانت الأفكار في العالم الإسلامي متصلة[2]، تعكس تقاربا ثقافيا، يعتبر خصيصة كبرى من خصائص الحضارة الإسلامية في عصور الازدهار.

وفي الموسوعات العلمية لهذه القرون تأكيد واضح لبروز هذه الظاهرة ودورها الإيجابي في خلق وحدة فكرية في العالم الإسلامي كله، فابن بسام يفرد القسم الرابع من مجلد الذخيرة الأول لمن هاجر إلى الجزير " الأندلس" من الآفاق، وطرأ عليها من شعراء الشام والعراق، ويشتمل هذا القسم على تراجم لهؤلاء الرحالة الشعراء في القرن الخامس الهجري، وحتى وفاة ابن بسام سنة 542هـ.

والمقري صاحب " نفح الطيب" يورد لنا نحوا من مئتين وخمسين ترجمة لمن رحلوا من الأندلس إلى المشرق من العلماء والأدباء والفقهاء، وقريبا من خمس وسبعين ترجمة لمن رحلوا من المشرق إلى الأندلس.

وفي كتاب الصلة لأبي القاسم خلف به عبد الملك الشهير بابن بشكوال المتوفى سنة 578هـ، نلحظ نفس الظاهرة، فأكثرية المترجم لهم رحلوا إلى المشرق، وكثير من المشارقة زاروا الأندلس، وكان ابن بشكوال يلحقهم بأعلامه تحت عنوان " الغرباء". [3]

(1) يوهان، العربية دراسات في اللغات واللهجات والأساليب، ترجمة عبد الحليم النجار، دار الكتب العربي، القاهرة، 1951، ص 168.

(2) الكعاك، المرجع السابق، ص 31.

(3) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 250-251.

2- أهم الحواضر والمراكز والمؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

2-1- الحواضر العلمية في المغرب الأوسط:

تتجلى لنا القلعة وبجاية هاتين العاصمتين فهما معقل العلوم ومصدر النهضة العلمية، بإشعاعاتها المتنوعة.

2-1-1- القلعة:

قال ابن خلدون: وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة، وشيد حماد من بنيانها وأسوارها، واستكثر فيها من المساجد والفنادق، فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن. ورحل إليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها. اه [1]

ويستفاد من النص أن القلعة ظهرت كمركز ثقافي منذ تأسيسها، وأضحت ليس العاصمة السياسية للدولة الحمادية بالمغرب الأوسط فحسب، بل وعاصمتها الثقافية أيضا، يدل على ذلك تقاطر طلاب العلم عليها لنفاق أسواق المعارف بها.

وقد ازدادت أهمية المدينة مع منتصف القرن الخامس الهجري خصوصا بعد خراب القيروان على يد القبائل العربية، هذا ما يؤكده الجغرافي البكري المعاصر للأحداث، ومما جاء في وصفه لعاصمة بني حماد ما يلي: هي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة، تمصّرت عند خراب القيروان وانتقل إليها أكثر أهل إفريقية، وهي اليوم مقصد التّجار وبها تحل الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب. اه[2]

إن لجوء أهل إفريقية إلى قلعة بني حماد إلتماسا للأمان زاد من حجم المدينة وازدهارها الاقتصادي والثقافي، إذ كان رجال العلم والثقافة ضمن العناصر الوافدة على المدينة ليس من إفريقية وحدها بل ومن بلاد المشرق والأندلس أيضا.

ليس هناك شك في أن قلعة بني حماد أضحت مركزا ثقافيا ذا شهرة خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري، هذا ما يتضح من كلام كل من ابن خلدون والبكري. ولكن حكمهما وعلى الرغم من أهميته، يتصف بالتعميم ولا يعطينا أي توضيح عن نوعية العلوم التي سادت

---

(1) ابن خلدون، العبر، المرجع السابق، ج6، ص 202.

(2) البكري، المرجع السابق، ج2، ص 710.

المدينة خلال هذه الفترة ولا كيفية تدريسها أو القائمين عليها. وهو الأمر الذي يدفعنا إلى التنقيب في مصادر التراجم التي عادة ما تعنى بمثل هذه القضايا.

من البديهي أن يكون المسجد المكان الذي تقام فيه الدروس، وتعقد فيه حلقات العلم، ويتجمع الطلبة حول الأساتذة وتجري المجابهات الثقافية بين رجال العلم والثقافة، وهي ظاهرة كانت تعم كل مدن العالم الإسلامي آنذاك. من أجل ذلك استكثر حماد من بناء المساجد في القلعة منذ شروعه في تأسيسها، ولكن عادة ما يكون المسجد الجامع في المدينة هو الذي يستقطب الحركة العلمية والثقافية. هذا إلى جانب القصور الخاصة بالعائلة الحاكمة التي كانت مقصدا للشعراء والأدباء حيث كانوا يلقون قصائدهم وأشعارهم مادحين للأمراء، ولا ننسى أن بعض العلماء كانوا يتخذون من مساكنهم مدارس خاصة.

لم أعثر في مصادر التراجم إلا على النزر القليل من الشخصيات الثقافية التي عرفتها القلعة خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري، سواء من أهلها أو من الذين وفدوا عليها من جهات أخرى. وليس مرد ذلك إلى انعدام تلك الشخصيات بعاصمة بني حماد، وإنما الآفة في ضياع أخبارها والإهمال الذي لحقها، سيما في هذه الفترة المتقدمة من تاريخ المغرب

ومن تلك الشخصيات، الفقهاء الثلاثة الذين ذكرهم القاضي عياض في مداركه ضمن الطبقة التاسعة من فقهاء المالكية، وهم أبو عثمان بن أبي سوار، وأبو حفص عمر بن أبي الحسين بن الصابوني وهو من أهل القلعة وكان زعيم فقهائها في وقته، وقد طال عمره وانفرد برئاسة فقهاء المالكية في جهته، وصفه القاضي عياض بالفقيه النظار وبالمحقق الحسن الفهم، الجيد الكلام في الفقه. اه[1]

أما الفقيه الثالث وهو أبو القاسم بن أبي مالك الذي ذكره ابن شرف في تاريخه ونقله عنه القاضي عياض في المدارك، فإنه كان صاحب فقه وورع وزهد ومروءة وخير. قدم إلى القيروان في سنة 438هـ بوصفه سفيرا للقائد بن حماد، وقد أثرت فصاحته وفطنته تأثيرا بليغا في المعز بن باديس صاحب إفريقية الذي أُعجب به شديد الإعجاب. وطوال مدة إقامته بالقيروان خلال تلك السفارة عاش ذلك الفقيه النزيه من ماله الخاص ولم يقتت إلا منه. اه[2]

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، تح: أحمد بكير، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1967م، ج8، ص 78.

(2) نفسه

وممن حل بالقلعة من أهل الأندلس أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري، من أهل قرطبة وبها نشأ، ثم سكن القيروان وأخذ عن أبي الحسن علي بن أبي طالب العابر أكثر روايته و تآليفه. كان له علم بعبارة الرؤيا، ولم يخبرنا مترجمه عن تاريخ دخوله القلعة واستقراره بها، ولكنه ذكر تاريخ وفاته بها؛ أي في سنة 450هـ وهو ابن اثنتين وستين سنة. اه
ورحل إليها أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر المعروف بالديباجي الذي غادر إفريقية بعد غزوة بني هلال على القيروان سنة 449هـ، وكان من مدرسي أصول الفقه بالقلعة وقد أخذ عنه بها أبو عبد الله بن أبي الخير المورروري.

ولم يكن الديباجي الوحيد الذي رحل إلى القلعة بسبب الغزو الهلالي، بل التجأت إليها أعداد كبيرة من مختلف الشرائح لحصانتها ومناعتها، وفي ذلك يقول النويري: ولما رحل المعز من القيروان وصار إلى المهدية وتمكنت العرب وأخربوا البلاد ونهبوا الأموال، إنتقل كثير من أهل القرى والبلاد إلى بلاد بني حماد لحصانتها، فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم.
يستنتج من النص أن القلعة استفادت من تدهور إفريقية وخراب الكثير من مدنها على يد أعراب بني هلال، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، فقد أضعفت الغزوة الهلالية بني زيري خصوم الحماديين، واضطرت التجار وأصحاب الأموال إلى الإحتماء بالقلعة والهروب إليها، وكذلك رجال العلم والمعرفة الذين لم يجدوا هم أيضا بدّا من الرحيل إلى عاصمة بني حماد طلبا للأمن والهدوء. (1)

2-1-2- بجاية:

فلقد ازدهرت الحياة التعليمية ازدهارا كبيرا، تدلنا عليه هذه المكانة العلمية التي احتلتها بجاية، بحيث أصبحت كعبة الشعراء، ومقصد طلاب العلم، فقد ارتحل إليها ابن حمديس الصقلي، وأبو الفضل بن النحوي من العلماء وغيرهم، وقد برز الفقهاء، والعلماء، والشعراء، والمؤرخون، والأطباء، والرياضيون، وغيرهم، ببجاية بروزا لا عهد للجزائر به، حتى أصبحت تضاهي قرطبة والقيروان.

وقد اعتذر الغبريني صاحب " الدراية في علماء المئة السابعة ببجاية" بعد أن أورد مجموعة من علماء أواخر المئة السادسة بقوله : وقد بقي خلق كثير من أهل المئة السادسة ممن لهم جلال وكمال، ولكن شرط الكتاب منع من ذلك.

(1) محمد بن معمر، المراكز الثقافية في المغرب الأوسط، ص ص 18-23.

وقال أبو علي المسيلي " أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ما منهم من يعرفني، وإذا كان المفتون تسعين، فكم يكون عدد المحدثين، ومن النحاة والأدباء، وغيرهم ممن تقدم عصره ممن لم يدركه... لقد كان الناس على اجتهاد، وكان الأمراء لأهل العلم على ما يراد.[1]

2-2- المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين:

كان التعليم منتشرا بكل مستوياته في العهد الزيري والحمادي، وبفضل المؤسسات التعليمية والثقافية، أدت كل من المساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا، دور هام فيه، باعتبار أن هذه الأماكن كانت المنبع الذي يأخذ منه طلاب العلم. [2]

ويمكن تقسيم هذا المطلب إلى فرعين:

2-2-أ- الدولة الزيرية:

وسنذكر أهم المؤسسات التي وجدت في عصر الدولة الزيرية:

1. المساجد:

لقد شهدت بلاد المغرب منذ الفتح بناء عدد كبير من المساجد، أهمها مسجد الجامع بالقيروان –مسجد عقبة بن نافع– والذي كان منذ تأسيسه سنة 50هـ/660م، من أهم مراكز العلم بالمغرب الإسلامي، حيث كان يموج بالفقهاء والعلماء والطلاب.

وقد اهتم أمراء البيت الزيري ببناء المساجد وتجديدها، والحبس عليها وتعميرها، والنظر في مصالحها، وذلك لدورها الهام في الحياة العلمية، كما شملت رعايتهم للشيوخ وأبنائهم، وذويهم وإعفائهم من الضرائب.

وكان الطالب عند حصوله على الإجازة يقوم بتدريس المادة المجاز فيها، فقام بالتدريس العديد من العلماء مثل:

ابن شبلون فقد كان الاعتماد عليه في الفتوى والتدريس في القيروان، وممن اشتهر ابن مناس فقد كان مفتيا بارعا له فصاحة وجزالة، وأيضا أبو علي حسن بن خلدون البلوي فقد كان جليل القدر شديدا على أهل البدع والروافض، وكان يدرس في مسجد القيروان.

---

(1) عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 252-255.

(2) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1، ص 34.

ومازالت المساجد تنشأ في أنحاء المغرب ينشئها العلماء في جهات إقامتهم، ومن بين المساجد التي انتشرت في عهد بني زيري :

- مسجد الحسن بن خلدون.
- مسجد أبي بكر بن عبد الرحمن.
- مسجد السدرة – يوجد بحارة السدرة وهي من أحياء مدينة القيروان–
- مسجد أبي الحكم.
- مسجد أبي زرجونة.
- مسجد أبي نصر.
- مسجد عون، – ينسب إلى عون بن يوسف صاحب سحنون –
- مسجد ابن اللجام.
- مسجد أبي الفتح.
- مسجد رحبة القرشيين.
- مسجد المقرعة.
- مسجد أبي عبد المطلب الواقع بباب سلم – أو أسلم–
- مسجد باب سلم المعلق الكبير.
- مسجد المرجى – أو المرخى– [1]

2. الكتاتيب:

وقد كان الصبيان يتعلمون في الكتاب القراءة، والكتابة، والتلاوة، وكانوا يكتبون الآيات القرآنية على الألواح، ويرتلون القرآن بصوت واحد، ويبدو أن تعليم الصبيان مبادئ الفقه لا يبدأ إلا بعد الختم الجزئي أو الكلي للقرآن.

ويغادر الطفل الكتاب في سن البلوغ، وقد حفظ القرآن، وتعلم القراءة والكتابة، على وجه الخصوص، ولا شك أن العائلات الميسورة تكفل بعض المربين بتلقين أبنائهم مبادئ العلوم، وتكوينهم حتى يصبحوا طلبة.

وعلى العموم فقد كان تعليم الشيوخ مجانيا. [2]

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 98-107.

(2) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج2، ص 360.

3. المعاهد:

لما كانت ولاية يحي بن تميم أنشأ معهدا علميا بمدينة المهدية، وذلك بعد توليه الإمارة سنة 501هـ/1107م، فقد أسس مدرسة للعلوم الكيميائية، وجعل لها دارا تردها الطلبة وأجرى عليهم الإنفاق، ومكنهم من الآلات، وسماها دار العمل، إشارة لما يباشر فيها من تطبيق علم الكيمياء وفروعها، وزودها بآلات تحليل المعادن والأحجار وأدوات تقطير الأعشاب والنبات وتبخيرها وتحويلها مما يناسب معلومات ذلك العصر، كما جعل حولها غرفا وفيرة لإسكان الطلبة

المهتمين، وتمكينهم من العمل العلمي المجرد، وأشرف على تسيير التدريس بها حكيم من أشهر حكماء العرب في وقته وهو الطبيب الفيلسوف الأديب أمية بن أبي الصلت الداني. [(1)]

4- المكتبات:

لقد وجدت عدة مكتبات في عهد الدولة الزيرية من بينهم : مكتبة بني الجزار الأطباء ولاسيما خزانة أبي جعفر أحمد بن الجزار 369هـ/980م، وهي من أكبر المكتبات القيروانية، فقد اشتملت على مجموعة ذات قيمة علمية عالية لاهتمامه بالعلوم الرياضية والفلسفية والتاريخية إلى جانب العلوم الطبية، فما من فن من هذه الفنون إلا ولأحمد بن الجزار فيه تأليف أو أكثر، وقال عنه ابن جلجل : ولما مات وجد له أربعة وعشرون ألف دينار وخمس وعشرون قنطارا من المؤلفات الطبية وغيرها.

وفي عهد المعز بن باديس ازدهرت الحركة الأدبية، وبلغت العناية بالكتب ونسخها وتنسيقها وزخرفتها إلى أوج ازدهارها.

فقد وجدت العديد من الكتب والمصاحف في المساجد تم حبسها من أهل البر والإحسان، فهذا عبد الله ابن مسرور التجيبي قد أوقف ثلث مكتبته على طلبة العلم، كما حبس أبو بكر عتيق السوسي على طلبة العلم عددا كبيرا من الكتب التي أهداها إليه المعز بن باديس. [(2)]

2-2- ب- الدولة الحمادية:

وقد اعتبرت القلعة العاصمة الأولى وبجاية العاصمة الثانية، معقل للعلوم مصدر النهضة العلمية.

---

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 110-111.

(2) نفسه، ص ص 113-115.

وقد اعتمدت هذه النهضة بالدرجة الأولى على الناحية التعليمية، فعندما اختط حماد القلعة استكثر فيها من المساجد والفنادق. (1)

1. المساجد:

ومن البديهي أن المسجد كان يلعب دورا تعليميا كبيرا، ولم يكن ثمة مسجد في المدينة خاليا من المدرسين، وقد عرف في المغرب العربي " المسيد" وهو ملحق كان يفرد للناحية التعليمية بالمسجد، وقد تطور هذا المسيد في القرن الخامس الهجري فاستقل بنفسه عن المسجد، وصار عالما بذاته من حيث البناء والمقصد، وهذا التطور لم يمنع المسجد من أن يبقى محل تعليم، إلا أنه ارتفع إلى طبقة، فار بمثابة دار التعليم الثانوي، أو التعليم العالي. (2)

وقد تأسست ببجاية العديد من المساجد وصل حوالي 72 مسجدا (3) ومن أهمها:

- **الجامع الأعظم:** يعود بناؤه إلى القرن 5 هـ / 11م، أيام الحمادين، كان قبلتا لطلاب العلم، نظرا لشهرة علماءه، أمثال، الشيخ الفقيه، الخطيب، العارف المحصل " أبو إسحاق ابن العرافة " منصب وحظ ووجاهة، وتخصيص، وولى صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم ببجاية، وكان معتكفا على ما هو سبيله، منزويا عن الناس، ولقي أفاضل أصل العلم ببلده من أخذ عنه واستفاد منه وكان مجلسا للتدريس بالجامع الأعظم، يدرس الرواية والدراية. (4)
- **مسجد أبى زكريا الزواوي:** كان موجودا في القرن 6هـ /12م ،ساهم في إثراء الحركة التعليمية إلى جانب مساجد أخرى.(5)

وكانت طريقة التعليم في المسجد بجلوس الأستاذ على الكرسي، أو مستندا على العمود أو ركن من أركان المسجد، ويلتف حوله الطلبة يشكلون بذلك حلقة.

2. الزوايا:

(1) عويس، المرجع السابق، ص 253.
(2) نفسه ص 253.
(3) يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، د، م، ج، الجزائر، ج1، ص 158.
(4) أبو العباس أحمد ابن أحمد بن عبد الله الغبريني، الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح عادل النويهض، بيروت، منشورات دار الأفاق الجديدة للطباعة، ط: 2، 1979، ص 256.
(5) نفسه، ص 165.

قد لعبت دورا كبيرا في الحركة التعليمية، فقد انتشرت في دولة بني حماد الكثير من الزوايا،[1] بين صغيرة وكبيرة، وهي عبارة عن مجموعة من المباني الفاخرة الكثيرة.
واهتمت بتعليم القرآن والعناية بالعلوم الشرعية والدينية واعتبرت الزوايا مكان لإقامة الصلوات الخمس وتعليم تلاوة القرآن الكريم وأصول الفقه والتفسير والحديث.[2]

3. الكتاتيب:

اعتبرت الكتاتيب من المؤسسات الثقافية والتعليمية، ولقد ساهمت في دروس الدعم وتحفيظ القرآن وتدريسه للأولاد الصغار، وكانت القلعة، تحوي مجموعة من الكتاتيب، حيث أنها اعتبرت أماكن لإقامة الصلاة ومن أشهر المعلمين في القلعة، أبو حفص الغديري، فكان التدريس في هذه الكتاتيب بعد أداء صلاة الفجر، حاملين معهم مصحف قرآني ولوح مكون من الخشب وقلم مصنوع من الخشب، بالإضافة إلى الحبر.[3]
وقد كانت الكتاتيب أشهر أنواع التعليم الابتدائي، ويبدو أنها قريبة من عمل " المسيد" وإن كانت تتمتع بنوع ملكية خاصة.[4]

4. المعاهد:

وقد كان يوجد لون آخر من التعليم وهو التعليم الجامعي وذلك في المدن الكبرى كبجاية، فقد أنشأ الناصر في بجاية " معهد سيدي التواتي" الذي كان يحتوي على ثلاثة آلاف طالب، وتدرس فيه كل المواد بما في ذلك العلوم الفلكية، وخلال مؤتمر علمي ألقت تلميذة من هذه الجامعة محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء الأجانب، ... فقد كان مرخصا للفتيات، ليس فقط التعليم، ولكن بتقديم أطروحات باسم الجامعة.[5]

5. المكتبات:

اهتمت الدولة الحمادية بإنشاء المكتبات، فقد وجدت نوعين من المكتبات، منها العامة

---

(1) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1994، ص340.
(2) عويس، المرجع السابق، ص 253.
(3) محمد عادل عبد العزيز ، التربية الإسلامية في المغرب أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية، المكتبة المصرية العامة، القاهرة، 1987، ص 26.
(4) عويس، المرجع السابق، ص 253.
(5) نفسه، ص 254.

والتي كانت بجامع المنار، وهي مليئة بكتب من بلاد الشرق الإسلامي. [1]
والمنقولة عن أساتذة الجامع، ومنها الخاصة، فقد اهتم المسلمون بالمكتبات اهتماما بالغا احتوت على أمهات المصادر والمخطوطات في جميع العلوم .

6. الشريعة:

تشبه الكتاب من حيث الوظيفة، وهي عبارة عن خيمة مدرسية عند البدو، كانت مصلى كبير تقام فيه صلاة الأعياد، وصلاة الجمعة، ويبدو أ " الشريعة" كانت محل تعليم البدو، في مقابل "المسيد" الذي كان محل تعليم الحظر، وكانت هذه الخيمة تنتقل من مكان إلى مكان حسب تنقل القبائل، وكان يتعلم فيها الذكور والإناث، وهذا دليل على اهتمام الدولة بإشاعة العلم والتعليم لكل شرائح المجتمع بمختلف طبقاته دون تمييز أو تفاضل بين سكان المدينة وأهل القرى والأرياف.[2]

(1) الغنيمي، المرجع السابق، ص341.
(2) يعيش عبد المجيد، بجاية في عهد بني حماد "460-547هـ/1067-1157م"، مذكرة ماستر، إشراف زرقوق محمد، جامعة جيلالي بونعامة- خميس مليانة، 2014-2015 ص 56.

3- مظاهر الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عهد الدولتين:

3-1- الدولة الزيرية:

3-1-أ- العلوم الدينية:

- **علوم القرآن القراءات:**

وقد انتشرت قراءة نافع في بلاد المغرب، حيث أن مالك بن أنس قد أخذ القراءة عن أبي رويم نافع الذي أخذ عن مالك الموطأ، فظهر هذا الاتجاه الفقهي في اختيار القراءات.

وممن اشتهر بعلم القراءات أبو القاسم عبد الرحمن الغافقي، كان فقيها عالما بالقراءات.

ومن القراء ابن سفيان الهواري، فقد فاق أهل زمانه في القراءات وأخذ عنه كثير من الناس وألف في فن القراءات كتابه " الهادي في القراءات.

وبرع في علم القراءات أبو عمران الفاسي، قام بتدريس علوم القرآن وكان متضلعا في القراءات السبع والتجويد، وأقرأ القرآن بالقيروان وأسمع الحديث، وغيرهم كثير. (1)

ومن أشهر الشخصيات على الإطلاق في علوم القران عامة والقراءات خاصة هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني، ثم الأندلسي (355-437هـ) ومن مؤلفاته في علم القراءات :

- التبصرة في القراءات.
- الرعاية في تجويد القرآن.
- الكشوف على وجوه القراءات. (2)

- **التفسير:**

بدأ التأليف والجمع في علم التفسير مثل باقي العلوم في القرن الثالث الهجري على يد طبقة أتباع التابعين، وقد تناول المفسرون في بلاد المغرب آيات الأحكام سواء في التفاسير العامة أو الخاصة معتمدين في ذلك على آراء السلف وبعض آراء مالك، وممن كانت له مؤلفات في علوم القران والتفسير ابن أبي زيد 386هـ/996م، فصنف العديد من الرسائل والمؤلفات في الفقه وعلوم القرآن، وكان له اهتمام بتفسير القرآن، وكتب في إعجاز القرآن.

---

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 139-143.

(2) يوسف بن أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، جامعة أم القرى، ط:1، 2000م، ص ص 438-439.

ومن المفسرين أبو الحسن القابسي كان عالما فذا، له كتاب في التفسير" المبعد من شبه التأويل"

ومن أشهر المفسرين في عهد بني زيري مكي بن أبي طالب.

ومن أعلام المفسرين ابن عمار المهدوي، من تألفيه " التفصيل، الجامع لعلوم التنزيل" والذي يعرف بتفسير المهدوي يشرح فيه معاني الآيات ثم يذكر القراءات ثم الإعراب، هكذا وصل علم التفسير إلى درجة النضج بدولة بني زيري ويتضح ذلك من خلال تعدد المصنفات البالغة بها.[1]

- **علم الحديث:**

ظلت جهود العلماء في المغرب في طلب الحديث عن طريق الرحلة لنقل الرواية والتحقق من السند، ولم يكن جهود هؤلاء العلماء مقتصرا على النقل وإبراز اجتهاد الأخرين، بل تعدى ذلك إلى وضع الشروح لكثير من كتب الحديث المشهورة، خاصة الموطأ، ومن بين علماء الحديث جعفر بن نصيف كان من أهل العلم والحديث، ومن أعلام الحديث أحمد بن محمد النجار، وأبو القاسم الصقلي، وأبو الحسن القابسي، ويعد عثمان بن أبي بكر الصفاقسي من أكثر البارزين في علم الحديث، وغيرهم كثير.[2]

3-1- ب- علوم اللغة:

أقبل البربر على اللغة العربية وجعلوها لغة رسمية للبلاد، فكانت دواوين الدولة منذ نشأتها باللغة العربية فالمكاتبات والرسائل والشكاوى وخطب الجمع والأعياد وغيرها من أمور الدولة كانت باللغة العربية، ومن بين علوم اللغة العربية التي كانت أكثر اهتماما عندهم ما يلي :

- **علمي النحو والبلاغة:**

لقد شكلت هجرة بني هلال وبني سليم إلى إفريقيا الشمالية سببا مهما في تغيير المنطقة من حيث التكوين السلالي والوضع اللغوي، حيث أن مصاهرة العرب للبربر، ساعد على تعريب البربر، وساعد على ذلك حرص علمائهم على تعلم اللغة العربية فهي السبيل لتعلم الدراسات الإسلامية بمختلف فروعها والطريق للتبحر في ثقافة الشرق، فقد أصبح من البربر أنفسهم مؤلفيين ولغويين ونحاة، وممن اشتهر من النحاة في هذه الفترة من البربر وغيرهم :

---

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 143-145.

(2) نفسه، ص ص 145-151.

القزاز وهو أبو عبد محمد بن جعفر التميمي، وهو شيخ اللغة ومسند الأدب في إفريقية، من مؤلفاته : الحروف، إعراب الدربدية وشرحها، كتاب المعترض، الجامع، المثلث، العثرات في اللغة، وغيرها.

فقد كان إماما لدراسة النحو واللغة في القيروان، فكان له هيبة عند الملوك والعلماء.

وممن عرف بإحاطته بالنحو واللغة ابن الأجدابي، فقد وضع كتبا كثيرة ومفيدة، منها: " كفاية المحتفظ"، وكما كان أبو الطاهر التجيبي متضلعا في اللغة، عالما بفنون الأدب.[1]

- **النثر والكتابة:**

ويمكن تقسيم النثر في هذا العصر كغيره من العصور إلى ثلاثة أنواع رئيسة:

- النثر الإداري: الذي يستعمل في مراسلات الدولة، وأجهزة القضاء والجيش، وممن يمثل هذا النوع في هذا العصر هو علي بن أبي الرجال الذي كان رئيسا لقلم المراسلات في ولاية المعز بن باديس، ومحمد بن عطية بن حيان الكاتب.
- النثر العلمي: وهو النثر الذي كان يستعمل في التأليف كالقصة وفنون اللغة والطب والتاريخ والجغرافيا...، ومن أبرز كتاب هذا النوع ابن الجزار الطبيب، وأبو الحسن القابسي في الفقه، وإبراهيم الرقيق في التاريخ، وأبا العرب التميمي المؤرخ النسابة.
- النثر الأدبي: فقد كان هذا العصر مطبوعا بطابع الصنعة عند أغلبية الكتاب مهما كانت طبقاتهم، وطبقات الكتاب كثيرة متنوعة، وفي طبقة الأولى بلا منازع ابن رشيق، ويليه ابن شرف ثم أبو إسحاق الحصري، وفي الطبقة الثانية عبد الكريم النهشلي، وابن الربيب. وغيرهم. [2]

3-1-ت- العلوم الاجتماعية والعقلية:

- **علم الفلك والكيمياء:**

نقلت بعض المصادر أن ابن أبي زيد ترك في مخلفاته آلات الكيمياء، وتضمنت تركت أبي عمران الفارسي الكبريت الأحمر، الذي اشتراه المعز بن باديس ورده إلى بيت المال، وكان رجل من أصحاب المازري يتعاطى علم الكيمياء،

---

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 167-171.

(2) نفسه، ص ص 183-186.

وكان مربي العز بن باديس الشهير، أبو الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب الشيباني، متضلعا في علم الفلك، والنجوم، وقد حضر عمليات رصد النجوم التي تمت في بغداد سنة 378هـ/ 988-999م، ويوجد كتابه الفلكي " البارع في أحكام النجوم" وهو مخطوط.

وأسس الأمير يحي الذي كان مولعا بعلم الفلك والكيمياء مخبرا في قصره بالمهدية، سماه دار العمل. [1]

- علم الطب:

لما ارتقى بلكين إلى العرش، بدأت المدرسة الطبية القيروانية تشتهر بالطبيبين الإسرائيليين، إسحاق بن سليمان، ودونش بن تميم، كما أننا نعرف اسم طبيبين آخرين وهما : أعين بن أعين، وابن البراء معاصر ابن الجزار، (395هـ/1004م عن سن تفوق الثمانين)

واشتهر أحمد الجزار تلميذ إسحاق بن سليمان، خارج إفريقية، وله كتب كثيرة في الطب منها : " زاد المسافر"، نقل في حياة المؤلف إلى الأندلس، وصقلية وإيطاليا، وترجم في الحين إلى اليونانية، والعبرية، واللاتينة، وله كتاب آخر يبحث في الأدوية البديلة " أبدال الأدوية"، كتاب العدة لطول المدة، كتاب البغية، نصائح الأبرار، قوت المقيم، أصول الطب، وغيرها من المؤلفات، فقد كانت له مكتبة قدرت بخمسة وعشرين قنطارا من كتب طبية وغيرها، فهو يعادل بالمغرب الفارابي وابن سينا بالمشرق، وقد كان غنيا جدا، ولكنه يعيش حياة بسيطة، وقد كان يعالج المرضى، ويوزع العلاج بلا مقابل، وقد ألف لفائدتهم كتاب " طب الفقراء والمساكين"

وممن اشتهر في عهد بني زيري من الأطباء طبيب المعز بن باديس ابن عطاء اليهودي، الذي هو بلا شك إبراهيم بن عطاء.

ومارس الطبيب الشهير الأندلسي أبو مروان عبد الملك بن زهر مهنة الطب بالقيروان سنة " 470هـ/1077م-1078م[2]

- علم التاريخ:

لقد اهتم أهل المغرب بتدوين أخبار بلدهم وتسجيل أخبار رجالاته وتتبع آثار الدول المتعاقبة عليه، وفي العصر الزيري نبغ عدد من المتخصصين في التاريخ والطبقات والتراجم، ومن هؤلاء الأعلام ابن الجزار، من مؤلفاته في التاريخ منها :

---

(1) حمادي الساحلي، المرجع السابق، ج2، ص ص 428-429.

(2) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 199-204.

-التعريف بصحيح التاريخ، وهو أشبه بكتاب تراجم لعلماء عصره وأخبارهم.
-مغازي إفريقية، طبقات القضاة، أخبار الدولة، في تاريخ الدولة العبيدية بالمغرب.
كما يعد الخُشني، من أشهر المؤرخين، كان عالما بالأخبار وأسماء الرجال، وله في التاريخ تواليف عديدة امتاز فيها بسعة أفقه وخروجه عن أسلوب المحدثين في كتابة التاريخ، وامتازت مؤلفاته بصحة النقل والتثبت وعدم التحيز، ومن هذه المؤلفات :
تاريخ الأفارقة أو الإفريقيين، طبقات فقهاء المالكية، كتاب الاقتباس، تاريخ علماء الأندلس، تاريخ قضاة الأندلس، ويوجد الكثير من المؤرخين غير هذين العلمين. (1)

(1) أيمن السيد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 189-194.

3-2- الدولة الحمادية:

3-3-أ- العلوم الدينية:

- الفقه:

اهتم الحماديون بعلوم الدين اهتماما بارزا، ومع توصيد دعائم الدولة، نستطيع القول بأن المذهب الفقهي السائد هو الفقه والمذهب المالكي، فقد كان يتصدر المذاهب الفقهية، بل والعقائد في المغرب العربي، على المستوى الشعبي، ويلقى من المسؤليين كل رعاية ظاهرة وخفية، فأصبح هذا المذهب بلا منازع مجال نشاط " الفروع" في البلاد، ومصدر الأحكام والتشريع.

ومن الجدير بالانتباه أن انتصار المذهب المالكي قد أضفى لونا من الثبات الفكري، والعاطفي في الدولة، وتحقق على المستوى العقائدي نوع من الوحدة لم يتوفر لبلدان المشرق المعاصرة التي كان الصراع قائما فيها بين السنة والروافض.

وقد اتجهت الحياة الدينية إلى دراسة الأحاديث المجموعة في كتب الفروع وفقا لدراسة الحديث التي كان إمامها " مالك " ، و " التلقين " لعبد الوهاب البغدادي، و" الواضحة " لابن حبيب، و" العتيبة " للعتبي، و" كالأسدية" التي جمعها أسد بن الفرات، أثناء تلمذته على ابن القاسم، إمام المالكية بمصر، و" المدونة" أو " المختلطة" التي جمعها في الفقه المالكي أبو سنون بن سعيد، ولقيت من المغاربة أكبر اهتمام، كانت هذه الكتب المرجع الأصلي للفقه المالكي الذي تدور حوله سائر الاجتهادات.

ولم يقف المغاربة عند حد الاتباع، بل ظهر بينهم بإفريقية، طائفة من أعلام الفقه المجتهدون منهم : ابن أشرس، والكتامي، والبرادعي، وغيرهم..

ولقد وجد في مدن الدولة الحمادية الكبرى كبجاية والقلعة والجزائر وتهرت وغيرها علماء أجلاء يقصدهم طالبو العلم من الأندلس ومن البلاد المغربية الأخرى، وكانت لبعضهم شهرة على امتداد العالم الإسلامي، كما أن بعضهم قد رحلوا إلى بلادن أخرى، وكانت لهم شهرة بها. (1)

ومن أبرز هؤلاء العلماء : مروان بن علي الأسدي المعروف بالبوني – نسبة إلى بونة-، وموسى بن حماد الصنهاجي الذي كان فقيها حافظا من جلة القضاة،

وموسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري من أشير.

---

(1) عويس، المرجع السابق، ص ص 257-262.

ومن هؤلاء الفقهاء إبراهيم بن حماد من أهل قلعة بني حماد، وحجاج بن يوسف الهواري من نواحي بجاية، وأبو بكر بن عتيقة من أهل القلعة، وعبد الله بن محمد بن عيسى التهارتي الذي ولع بالرواية ومعرفة الحديث، وعبد الله بن يحي العبدري من أهل القلعة، وكان محدثا وفقيها بجامع القلعة إلى أن توفي سنة 519هـ. وغيرهم كثير. (1)

- التفسير:

لقد اتخذ المفسرون للقرآن اتجاهين أساسيين وهما :

الاتجاه الأول: التفسير النقلي.

الاتجاه الثاني: التفسير بالرأي والاجتهاد. (2)

ومن الكتب التي كانت تدرس في علم التفسير ببجاية، كتاب الكشف والبيان للطبري، وكتاب التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمر المهدوي، وكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، وكتاب الكشف عن حقائق التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري.

ومن مفسري الدولة الحمادية، يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي أبو يعقوب الورجلاني، من أكبار فقهاء الإباضية، من مؤلفاته " تفسير القران الكريم" في سبعين جزءا.

ومن كتبه أيضا في أصول الفقه " العدل والإنصاف" من ثلاثة أجزاء، و" الدليل والبرهان" في عقائد الإباضية من ثلاثة أجزاء. (3)

- القراءات:

ومن أشهر من برع في علم القراءات بالدولة الحمادية، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل أبو القاسم الهذلي البسكري، نبغ في علم القراءات، من كتبه " الكامل في القراءات" وأحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي، تولى الإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة.

وعتيق بن محمد أبو بكر الردائي شيخ الإقراء بقلعة يني حماد، دخل دمشق فقرأ على

---

(1) عويس، المرجع السابق، ص ص 257-262.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، ص 549.

(3) عاشور يمينة، العلوم الدينية على عهد الدولة الحمادية" 408-547هـ/1018-1152"، مذكرة ماستر، إشراف بوشيبة ذهبية، جامعة طاهر مولاي- سعيدة، 2014-2015، ص ص 40-42.

الأهوازي.

وعبد الله بن محمد بن يحي العبدري، وغيرهم كثير. [1]

3-2- ب- علوم اللغة:

الأدب والشعر:

تصدرت علوم اللغة والأدب مجالات النشاط العقلي في دولة الحماديين، وكان الأدب – نثرا وشعرا– مناط عناية واحترام كل الطبقات، وقد اشتغلوا به جميعا الملوك والوزراء ورجال الدولة والعلماء، والطبقتان العلي والسفلى، وكانت العربية الفصحى المصقلة، بلسان العرب النازحين لغة الثقافة والفكر، وإن كان من الضروري أن تكون اللهجات الإقليمية قد أكسبتها لونا، محليا ذا طابع خاص، أما البربرية فلم تزل تماما من الوجود، بل بقيت معروفة متداولة، وقد لعبت دورا في الحياة الاجتماعية، إذ كانت الوعاء الذي حمل الأدب العامي، الذي كان هذا العصر من عصوره الذهبية، لكن مع ذلك نجحت العربية في أن تكون اللغة الحية القوية السهلة المطاوعة عن الفكر العلمي، وفرضت نفسها بحيث أصبحت لغة السياسة والتخاطب الأدبي.

وبهذه العربية الفصحى قدمت الجزائر الحمادية مجموعة من الكتاب والشعراء واللغويين، وأسهمت في تفتيق مواهب وفدت إليها واستظلت بظلها، فمن أدبائها :

أبو عبد الله الكاتب محمد الكاتب المعروف بابن دفرير – أحد كتاب الدولة الحمادية في عهد يحي – .

ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بن القالمي.

ومن شعراء هذا العصر الحمادي : أبو حفص عمر بن فلفول الذي كان كاتب العزيز وابنه يحي من بعده، وله اليد طول في الإنشاء الدال على إبداعه.

وعلي بن الزيتوني الشاعر، اعتبره ابن عماد شاعر المغرب الأوسط وأديبه وألمعيه وأريبه.

ومن الشعراء إبراهيم بن الهازي، وعلي بن الطبيب، ويوسف بن المبارك من موالي بني حماد.

ومن أعلام الجزائر في هذا العصر يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي من قلعة بني حماد، ويوسف الورجلاني يعتبر من أبرز أدباء العهد الحمادي. وغيرهم كثير. [2]

---

(1) عاشور يمينة، المرجع السابق، ص 43.

(2) عويس، المرجع السابق، ص ص 262-268.

ومن الشعراء الذين استقروا ببجاية ابن حمديس الصقلي، وهو شاعر الأمراء الحماديين الأول، يمدحهم ويصف منجزاتهم العمرانية، خاصة المنصور بن الناصر، ومن شعره في مدحه:

فهي مفتاح اللذات لنا وبدا المنصور مفتاح الكرم

حل قصر المجد منه ملك بدئ المجد به ثم ختم

يختبي في الدست منه أسد وهلال وسحاب وعلم

يترك في الدست منه أسد وهلال وسحاب وعلم

يترك النقمة في جانبه وإذا عاقب في الله انتقم[1]

3-2-ت- العلوم الاجتماعية والعقلية:

- علم التاريخ والجغرافيا:

لم تحظ علوم التاريخ والجغرافيا في الدولة الحمادية بعناية كبيرة، وذلك أن فترة الحماديين، كانت فترة تركيز على العربية والإسلام باعتبارهم الأساس الذي تقوم عليه عملية تعريب المغرب، ومع ذلك فقد برز بعض الأعلام في علم التاريخ والجغرافيا منهم:

أبو محمد القلعي الذي كان يدرس بالجامع بحاضرة بجاية، ومحمد بن ميمون حفيد ميمون قاضي القلعة، ويوسف الورجلاني، ومن المؤرخين الذين ارتبط اسمهم بالدولة أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي، مؤلف أكبر كتاب في التاريخ الصنهاجي " النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة" ، وكتاب " أخبار ملوك بني عبيد" [2]

- علم الطب:

شهدت قلعة بني حماد تطورا في مجال الطب وبرز في هذا المجال أطباء كبار منهم : أبو جعر بن علي البيذوخ القلعي الطبيب كان خبيرا في الأدوية المركبة والمفردة، إلى جانب حسن نظره في الاطلاع على الأمراض وعلاجها إذ أنه جمع بين الطب والصيدلة[3]، وقد ترك من الكتب حواشي على كتاب القانون لابن سينا، وشرح الفضول لأبو قراط في أرجوزة وذخيرة الألباب في الباءة كان من مواليد القلعة ومات بدمشق.

---

(1) عاشور يمينة، المرجع السابق، ص 28.

(2) عويس، المرجع السابق، ص ص 268-270.

(3) محمد بن عميرة، القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى، حولية المؤرخ، ط:1، إتحاد المؤرخين الجزائريين، 2002، ص 109.

وابن المليح الطيب كان طبيبا مشهورا، وابن النباش البجائي المتوفى في أوآخر القرن الخامس، كان طبيبا مواظبا على علاج المرضى ملما بالعلوم الطبيعية، ومشاركا في الكثير من العلوم الفلسفية.

وعن تطور الأدوية بالقلعة يقول الإدريسي " بهذه المدينة عقارب كثيرة سود تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون ويتحصنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني ويزعمون أنه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب. (1)

– علوم الرياضيات والفلك:

ومن أشهر العلماء الذين نبغوا في هذا العلم محمد بن أبي بكر المنصور القلعي الذي نبغ في الطب والحساب والرياضيات وعلم الفرائض.

ومن أعلام الحساب علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي، ولد سنة 489هـ/994م، نشأ وتعلم بقلعة بني حماد ثم رحل إلى المشرق.

ومن العلماء الذين نبغوا في علم الفرائض محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي له مؤلف بعنوان " إيضاح الغوامض في علم الفرائض" . (2)

وممن اشتهر بعلم الفلك علي بن أبي الرجال التهارتي، وقد عرف بآثاره العلمية الكثيرة لاسيما كتاب " البارع في أحكام النجوم" الذي نقل إلى الإسبانية والاتينية، وكتاب " أرجوزة في الأحكام الفلكية"

ومن العلماء الوافدين إلى بجاية محمد بن محمد بن أحمد الأموي الذي هاجر إلى مرسية وانتصب للتدريس بمسجد بجاية الجامع، وكان علامة زمانه في علوم الطب والرياضيات. (3)

---

(1) عاشور يمينة، المرجع السابق، ص ص 32-33.

(2) أحمد نوار، أعلام علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن 9-19م، سلسلة الرياضيات، الجزائر، جامعة قسنطينة، 2004، ص 24.

(3) عاشور يمينة، المرجع السابق، ص ص 33-34.



الخاتمة

الخاتمة:

نختم هذه الدراسة والتي عنوانها " الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولة الزيرية والحمادية" بأن نبين بعض النتائج التي توصلنا إليها والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

أوضحت الدراسة حدود المغرب الأوسط، فيحده غربا نهر ملوية، وهو الحد الفاصل بينه وبين بلاد المغرب الأقصى، يقول ابن خلدون : هو ديار زناتة كان لمغراوة، وبني يفرن، وكان معهم مديونة، ومغيلة، ومطامطة، وكومية، ومطغرة، ثم صار من بعدهم لبني ومانو، وبني يلومي، ثم لتوجين، وبني عبد الواد، وقاعدته في هذا العهد تلمسان وهي دار ملكه.

وأظهرت الدراسة لمحة عامة عن الدولتين الزيرية، والحمادية، فبينت أسباب نشأتهما وأهم أمراءهما وحدودهما الجغرافية، وعواصمها.

وبينت أن الدولتين من الدول الإسلامية النظامية، وأن نظام الحكم فيها كان نظاما ملكيا وراثيا منحصرة في أسرى كل بني زيري وبني حماد.

كما كانت حدود الدولتين متذبذة وغير مستقرة، وهذا حسب الحالة السياسية التي تمر بها الدولة، وقدرتها على التوسع أو الحفاظ على ملكها.

وأكدت الدراسة على أن الإزدهار الحضاري والفكري لبلاد المغرب خلال عهد الدولتين لم يأت من فراغ، بل جاء نتيجة لعوامل كثيرة منها : تشجيع الأمراء، والرحالات العلمية.

كما أن الدراسة سلطت الضوء على المؤسسات التعليمية في كل من الدولتين آنذاك وانتشار دور العلم، مثل: الكتاتيب، والمساجد، والزوايا، والمعاهد، والمكتبات، وتنوع النظم التعليمية بكافة مدن الدولتين مما كان له أكبر الأثر في ازدهار العلم وانتشار العلوم بين الناس.

خلصت الدراسة إلى مدى اهتمام البربر بالعلوم الدينية واللغوية والاجتماعية والعقلية، فكان الآباء يهتمون بتعليم الأبناء.

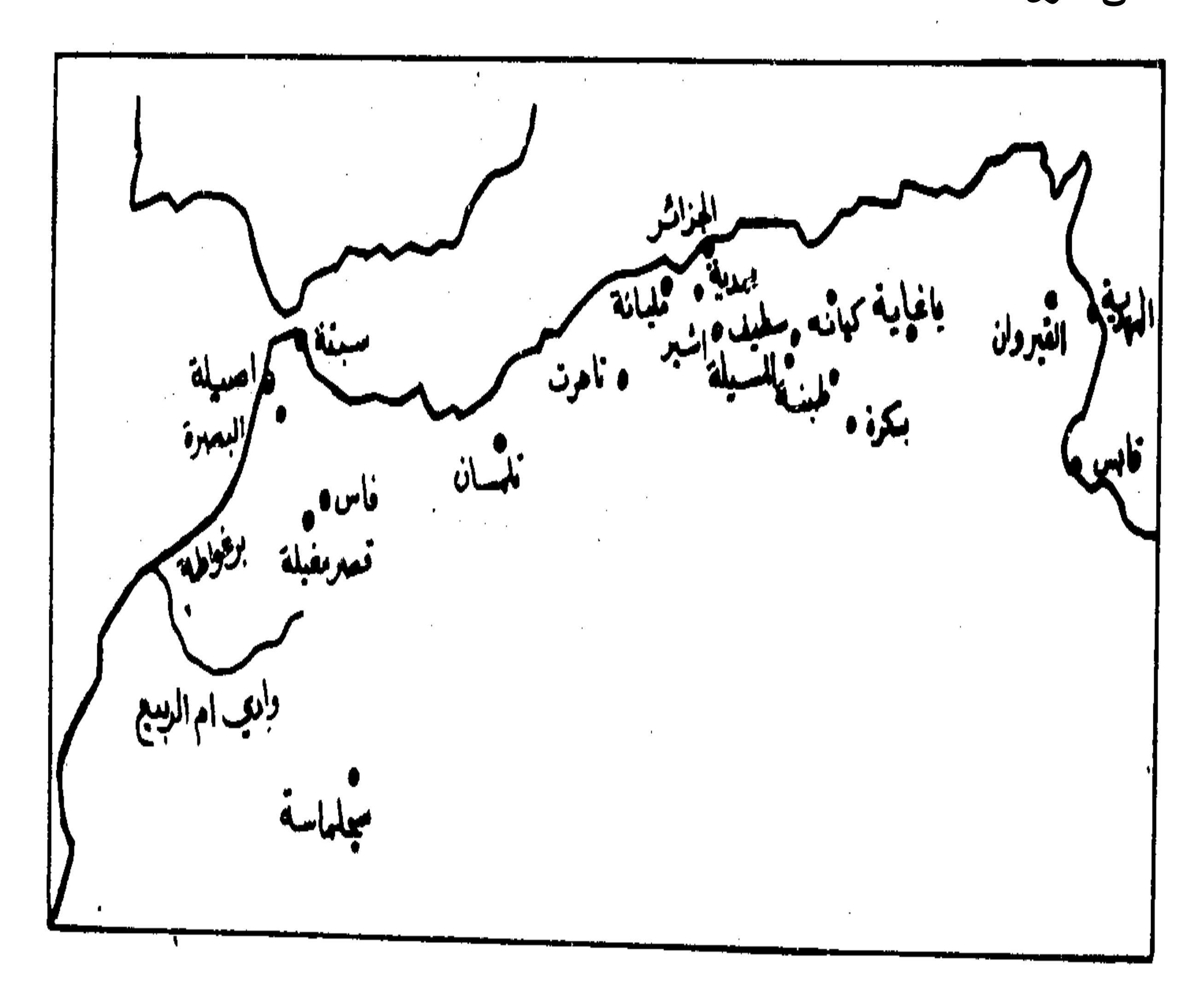
كما بينت تعدد المعارف والعلوم والثقافات في عهد الدولتين، فقد أصبحتا قبلة للطلاب العلم بل حتى للعلماء.

فمن خلال هذه النتائج والاستنتاجات التي لا تعد أحكاما نهاية، إلا أنها تفتح أبوابا جديدة نحو عمل أكاديمي جديد، ونأمل أن نكون قد ساهمنا ولو بجزء قليل في إعطاء لمحة عامة عن الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال عصري الدولتين الزيرية والحمادية.



الملاحق

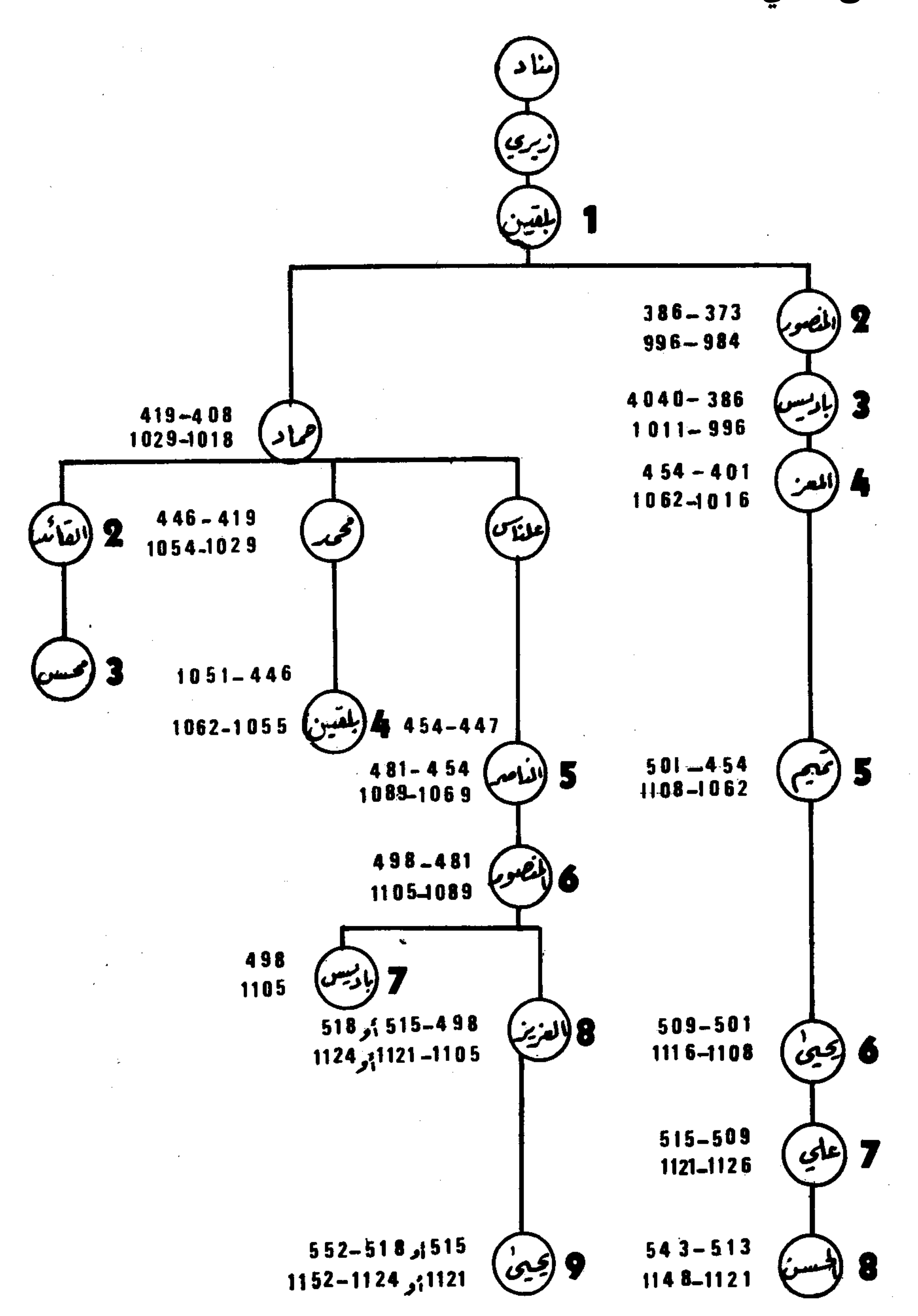
الملحق الأول [1]



شكل 1 المغرب في عهد بلقين بن زيري

(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 17

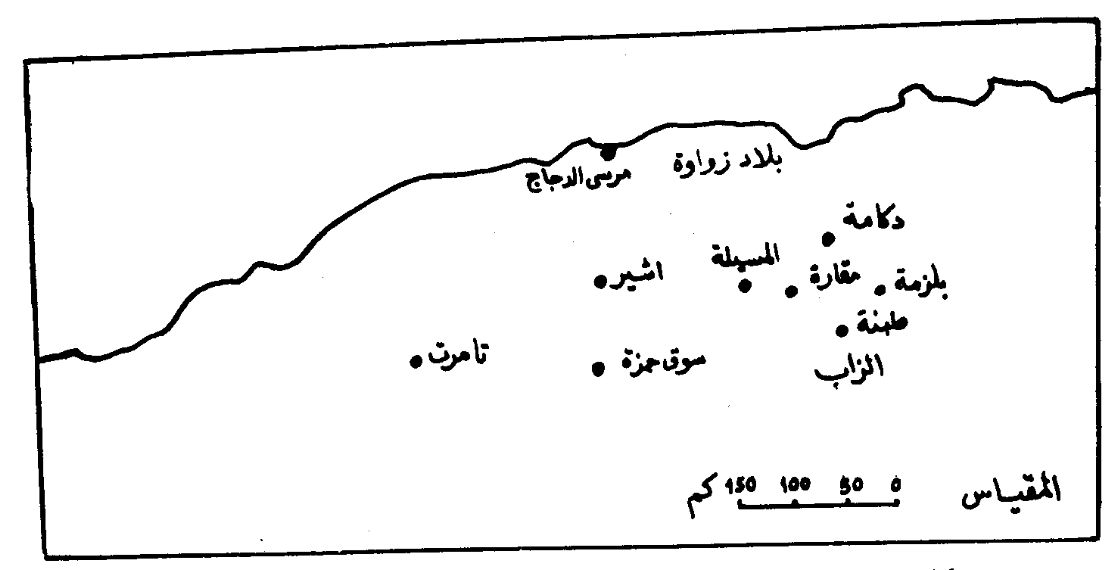
الملحق الثاني [1]



جدول أمراء الدولتين الزيرية والحمادية

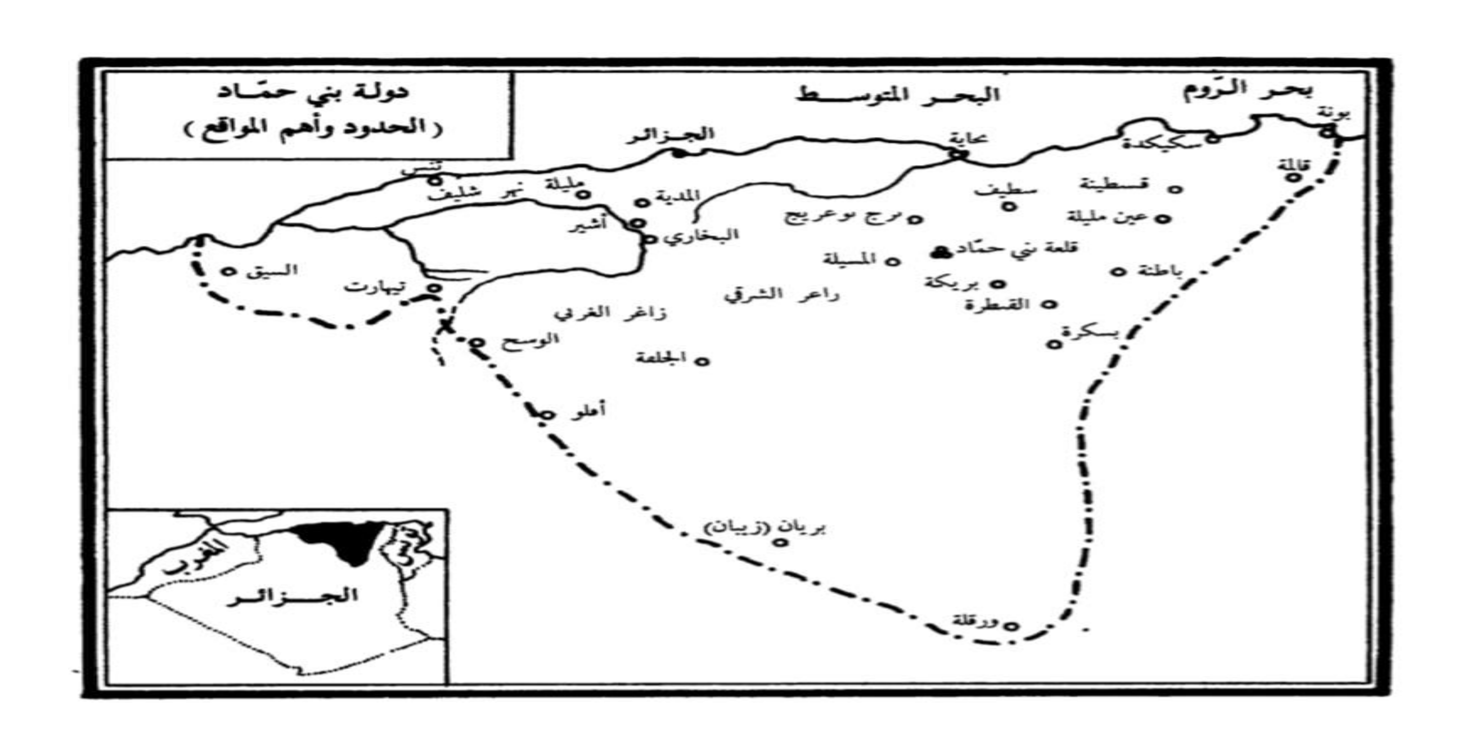
(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 35

الملحق الثالث [1]



شكل 3 المدن والمناطق التي عقدها المعز على حماد وابنه القائد

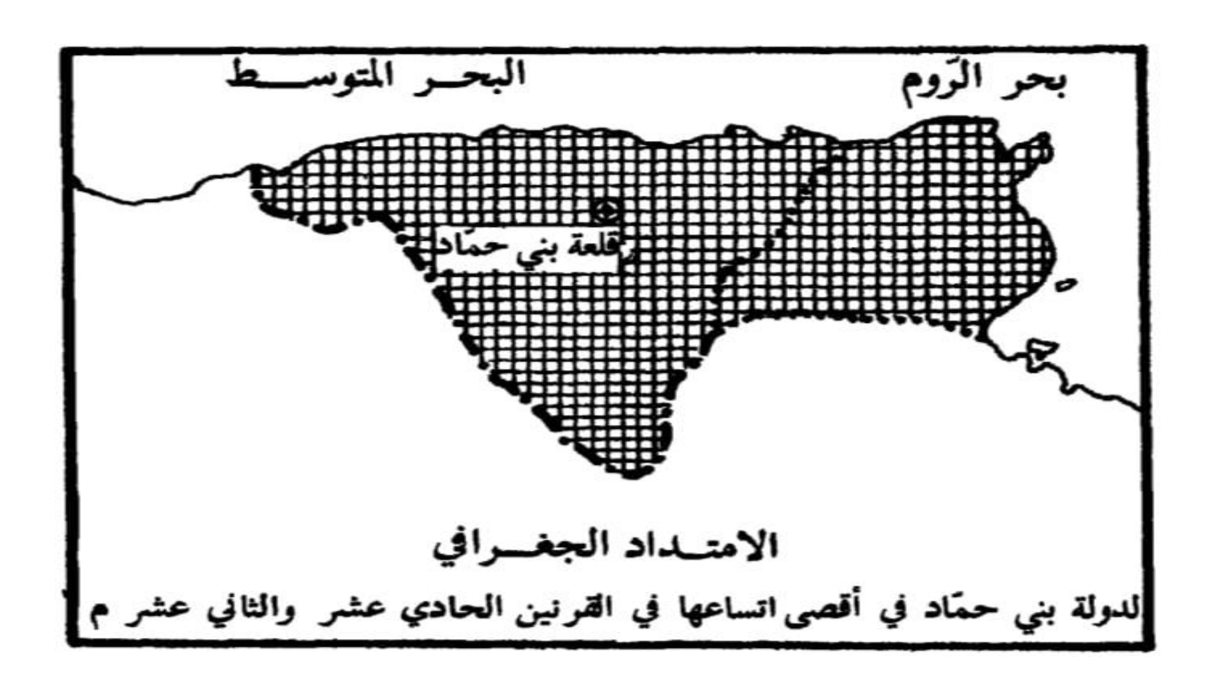
الملحق الرابع [2]



(1) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 39

(2) عويس، المرجع السابق، ص 97

الملحق الخامس [1]



الامتـداد الجغـرافي
لدولة بني حمّاد في أقصى اتساعها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر م

(1) عويس، المرجع السابق، ص 105



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1- المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء، نشره جمال الدين لشبال، القاهرة، ط2، 1996م.

2-العبادي، أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

3-الشرقاوي وآخرون، ملامح المغرب العربي، الإسكندرية، 1959م.

4-الدراجي بوزيان، القبائل الأمازيغية(أدوارها ومواطنها وأعيانها)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

5- اليعقوبي، البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

6-النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: محمد أو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984م .

7- الجغرافية وما ذكرته العلماء فيها من العمارة، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الإسلامية للطباعة.

8- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، دار الهدى، الجزائر، 2004.

9-الجيلالي، تاريخ الجزائر، ط2، منشورات دار الحياة، بيروت، 1965.

10- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

11- القاضي عياض، ترتيب المدارك، تح: أحمد بكير، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1967م.

12- الكعاك، بلاغة العرب، مكتبة العرب، تونس.

13- ابن منظور، لسان العرب، ط6، دار صادر، بيروت، 2008م.

14- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي، وإبراهيم الكتابي، نشر وتوزيع، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

15- ابن خلدون، المقدمة، دراسة أحمد الزغبي، دار الهدى، عين مليلة، 2009.

16- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
17- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
18- أبو العباس أحمد ابن أحمد بن عبد الله الغبريني، الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح عادل النويهض، بيروت، منشورات دار الأفاق الجديدة للطباعة، ط: 2، 1979.
19- أحمد نوار، أعلام علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن 9-19م، سلسلة الرياضيات، الجزائر، جامعة قسنطينة، 2004.
20- أيمن السيد عبد اللطيف، الحياة الثقافية في المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية.
21- بن سادات نصر الدين، المغربان الأدنى والأوسط تحت حكم بني زيري، جامعة وهران.
22- بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
23- بو عزيز يحي، موضوعات من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2004.
24- د. عامر حميد السامرائي، الموجز من تاريخ المغرب العربي في العصور الإسلامية الأولى، 2017م.
25- دومنيك فاليري، بجاية مناء مغاربي (1067-1510م) ترجمة علاوة عمارة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م.
26- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، 1997م.
27- زغلول سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية.
28- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر من القرن 6 إلى القرن، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1992م.
29- جلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي ق 5-6 هـ، رسالة ماجيستير، إشراف محمد بو ركبة، 2014-2015م.

30- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

31- عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.

32- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط6، المركز الثقافي، الدار البيضاء، 2000.

33- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2010.

34- عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، 1962م.

35- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961.

36- عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت.

37- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الصحوة للنشور والتوزيع، القاهرة، ط: 2، 1991م.

38- عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، 2012.

39- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر عامة، دار المعرفة للطباعة والنشر، الجزائر.

40- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 1994.

41- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط: 1، الجزائر.

42- عبد الغني حروز، " قلعة بني حماد من خلال المصادر والمراجع التاريخية "– الموقع والتأسيس–.

43- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1965م.

44- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد عريان، الجمهورية العربية المتحدة.

45- عبد الواحد دنون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت.
46- فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ.
47- محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية.
48- محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، 2005م.
49- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010م.
50- محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، مقسم بنودال رايس حميدو الجزائر، ط 1، 2015م.
51- محمد بن عميرة، القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى، حولية المؤرخ، ط:1، إتحاد المؤرخين الجزائريين، 2002.
52- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
53- محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية، المكتبة المصرية العامة، القاهرة، 1987م.
54- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م .
55- محمد بن معمر، المراكز الثقافية في المغرب الأوسط.
56- يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، د، م، ج، الجزائر.
57- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صاد، 1977م.
58- يوهان، العربية دراسات في اللغات واللهجات والأساليب، ترجمة عبد الحليم النجار، دار الكتب العربي، القاهرة، 1951.

رسائل ماستر وماجستير ودكتورا:

59- الأخضر العبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مذكرة دكتورا، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، 2004-2005م.

60- أمحمد بوشريط، الزراعة بالمغرب الأوسط الإمكانيات والخصائص، مجلة الناصرية، ع4/ جوان 2013، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، معسكر.

61- بن عريب مصطفى، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668ه/1269م، رسالة ماجستير، إشراف د. الطاهر بو نابي، جامعة المسيلة، 2016-2017م.

62- دحمان إيمان وشندي أمينة، الصراع الزيري الحمادي وأثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية (362-547ه /973-1152م)، مذكرة ماستر، إشراف خلفات مفتاح، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية، 2016-2017م.

63- د. فوزية كرراز، التوزيع الجغرافي للبربر والعرب بالمغرب الأوسط (ق 5-6ه/11-12م)، مجلة العصور الجديدة، العدد 21-22، 2016م.

64- زهيرة صغيور، جوانب من حضارة قلعة بني حماد (العمران والفنون نموذجا)، إشراف عبد الغني حروز، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية 2019-2020م.

65- عاشور يمينة، العلوم الدينية على عهد الدولة الحمادية" 408-547ه/1018-1152"، إشراف بوشيبة ذهبية، 2014-2015م.

66- عادل بديرة، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط، رسالة ماجستير، إشراف د. مفتاح خلفات، جامعة المسيلة، 2017-2018م.

67- عيمور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5-6ه/11-12م (دراسة اقتصادية اجتماعية)، رسالة ماجستير، مرقونة، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2008-2009م.

68- كرطالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين(9-10ه/15-16م)، مذكرة ماجستير، إشراف د. محمد بو ركبة، جامعة وهران، 2013-2014م.

69-كتاب فائزة و قاسم شهيرة، الجوانب الفنية في الدولة الحمادية، (408-1017هـ/547هـ-1152)، مذكرة ماستر، إشراف شلبي زينب، جامعة البويرة، كلية العلوم الإنسانية، 2014-2015.

70-منصور عبد الحفيظ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية، التاريخ الإسلامي، جامعة قسنطينة، 1983-1984م.

71- موسى هيصام، الجيش الحمادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف موسى لقبال، الجزائر، 2000-2001م.

72-نشيد رافعي، شخصية ابن حماد الصنهاجي 628هـ، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران.

73-نوال بلمداني، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، رسالة دكتورا، إشراف أ. د. فاطمة بلهواري، جامعة وهران، 2013-2014م.

74- يعيش عبد المجيد، بجاية في عهد بني حماد "460-547هـ/1067-1157م"، مذكرة ماستر، إشراف زرقوق محمد، 2014-2015م.

75- يوسف بن أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، جامعة أم القرى، ط1، 2000م.

كتب مترجمة:

76- حمادي الساحلي، الدولة الصنهاجية " تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12 م، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1992 ، (وهو كتاب مترجم لمؤله الهادي روجي إدريس)

77-جوليان أندريه، تاريخ إفريقية الشمالية حتى الفتح العربي، باريس، 1951م.

78- موريس لومبار، تاريخ الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1979م.

الفهرس

